

العربية

Leaders

العدد 53 • السعر : 2,5 د.ت • ماي 2020

# الشاذلي القليبي

## رمز اقتران السياسة بالفكر والأخلاق

رشيدخشانة  
الحكومة ليست  
على قلب رجل واحد...

عبد العزيز قاسم  
فيروس الكورونا  
أمام القضاء

محمد إبراهيم الحسايري  
العالم يثني لحال  
أمريكا... ويثنيها...

علي اللواتي  
في الذكرى الخمسين لرحيل علي الرياحي:  
نهاية حياة وبداية أسطورة





# الافتتاحية

• بقلم عبد الحفيظ الحرغام

## أي موقع لتونس في النظام العالمي الجديد؟

# لئن

لرفاهية الإنسان بدل المراهنة على النمو من أجل النمو، فضلا عن إبرام اتفاقيات اقتصادية جديدة تسرّ مزيد الوصول إلى الأسواق «جنبًا إلى جنب» مع القضاء على التهرب الضريبي وحماية خصوصية البيانات وإنفاذ معايير العمل.

لكنه يرى أنه سيكون من الحماقة التوقّع أن يقود الرئيس دونالد ترامب، وهو أحد أسباب فشل النظام الدولي اليوم، التخطيط لنظام جديد. ممّا يستوجب انتظار رئيس أكثر انفتاحا على الصعيد الدولي لتشكيل مؤسسات النظام الجديد، معتبرا حضور ترامب لا يعني أنّ تقدّما جيّدا لا يمكن أن يحدث في الأثناء.

يمكن أن نستخلص ممّا تقدّم عرضه جملة من الاستنتاجات بخصوص ما يجوز اعتباره نموذجا للفكر الاستراتيجي الأمريكي في تحويل الأزمات إلى فرص. وأوّل هذه الاستنتاجات أهمية التمشي الاستباقي في رسم السياسات لعام ما بعد الكورونا حتّى تبقى الريادة لواشنطن في تشكيل النظام العالمي الجديد الذي سيقوم على مؤسسات جديدة وعلى قواعد أخلاقية واقتصادية مغايرة، وثانيها تجاهل الدور الذي يمكن أن تنهض به دول من خارج دائرة حلفاء أمريكا في أوروبا كالصين وروسيا على وجه الخصوص إلى جانب قوى إقليمية وازنة، وأخيرا اعتماد الرابط الديمقراطي المشترك رافعة لتوسيع الدفاع الجماعي ضدّ كلّ ما من شأنه أن يهدّد قيم الديمقراطية وقواعدها.

وعلى تونس أن تعمل من الآن على استثمار ما تتيحه أزمة كوفيد-19 من فرص لتبوّؤ موقع لها في العالم الجديد من خلال رسم سياسات عمومية تستجيب لمقتضيات المرحلة القادمة، تستند إلى منوال اقتصادي وتنموي مجدّد يستفيد من طاقة الإبداع والابتكار التي تتميز بها الكفاءات التونسية ويراهن على مهن المستقبل التي لها علاقة بالخصوص بتكنولوجيات الاتصال والذكاء الاصطناعي وكذلك على القطاعات التي من المؤكّد أن تضعها الدول، بعد الخروج من الجائحة، في صدارة اهتماماتها كالصحة العامة والصناعات الدوائية والبحث العلمي والبيئة والأمن الغذائي والتحويلات الاجتماعية...

ولاشكّ أنّ مخرجات فرق الخبراء التي أعلن عن تشكيلها رئيس الحكومة لرسم السياسة وإعداد سيناريوهات ما بعد الكورونا في تونس والدراسة الأولى التي أنجزها المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية وعنوانها «تونس في مواجهة «الكوفيد-19» في أفق 2025» ستشكّل قاعدة لبلورة خطط تساعد على انخراط تونس في العالم الجديد من موقع الفعل والمبادرة. ولكي تنضمّ تونس إلى قافلة الدول والديمقراطيات التي سيكون لها دور حاسم في صياغة النظام العالمي الجديد عليها أن تفعل أكثر عملها الدبلوماسي وأن تكون قوّة اقتراح صلب المنظمات الإقليمية المنتمة إليها والوكالات الأممية المتخصصة والجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي التي تشغل فيه منصب عضو غير دائم لمدة سنتين، وأن تكون مساهمة بفعالية في معالجة التحديات العالمية التي سيرتكرّ عليها الاهتمام في عصر ما بعد الكورونا، وإلا ستكون من البلدان المهمّشة التي ستقبل شاءت أم كرهت ما خطّطه الآخرون. ■

ع.ه

اختلفت السرديات عن جائحة فيروس كورونا وتعدّدت زوايا النظر إلى تداعياتها الوطنية والإقليمية والدولية على مختلف أوجه الحياة البشرية فإنّه ثمة ما يشبه الإجماع على أنّ الأزمة المزمنة الناجمة عن الجائحة قد قوّضت أسس النظام العالمي الموروث عن الحرب الكونية الثانية ثمّ عن سقوط جدار برلين وأنّ فرصة فريدة باتت مواتية لبناء نظام جديد على أنقاض النظام المتهووي الذي أدرك أقصى حدوده. وإذ نقرّ بأنّ العديد من المؤشّرات تحمل على الاعتقاد أنّ متغيّرات هامة ستشهدها الخارطة الجيو-سياسية والجيو-استراتيجية للعالم في المرحلة المقبلة، فإننا قد نجانب الصواب إذا ما اعتبرنا أنّ إرساء هذا النظام البديل سيكون أمرا يسيرا، وإنّما عملية ولادته وتوليدته ستستغرق وقتا طويلا وستتحكّم فيها بلا ريب الإيرادات المتصارعة والمتناقضة للقوى في العالم التي ستسعى جاهدة إلى المسك بزمام المبادرة حتّى يتشكّل العالم الجديد وفق توجهاتها ومصالحها.

لقد طفق الخبراء في العلوم السياسية والدراسات الاستراتيجية وسائر المجالات الأخرى يرسمون منذ انتشار وباء كوفيد-19- ملامح النظام العالمي ما بعد الجائحة، كلّ حسب تصوّره. أحد هؤلاء، وهو إدوارد فيشمان، العضو السابق في فريق تخطيط السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية والعضو بالمجلس الأطلسي، يعتبر في مقال نشرته منذ أسابيع مجلّة «بوليتيكو الأمريكية» أنّ أمام قادة الولايات المتحدة فرصة تتاح مرة أو مرتين في القرن لبناء نظام جديد قادر على التعامل مع تحديات المرحلة المقبلة، المتمثلة، في تقديره، في مواجهة التغيّرات المناخية والتهديدات السيبرانية وتعزيز الصحة العامة ويسمح في الآن نفسه بتبادل ثمار العولمة والتقدّم التكنولوجي على نطاق واسع. وحسب رأيه على القادة الأمريكيين الاقتداء بالرئيس فرانكلين روزفلت الذي بدأ التخطيط لتسوية ما بعد الحرب العالمية الثانية قبل أن تدخلها بلاده، حيث أصدرت أمريكا وبريطانيا الميثاق الأطلسي الذي حدّد أهدافها لنظام ما بعد الحرب في أوت 1941 أي قبل أربعة أشهر من واقعة بيرل هاربور. كما انعقد في جويلية 1944 مؤتمر برين وودز وبانتهاء الحرب بعد سنة كانت مبادئ النظام الاقتصادي الجديد المنبثق عن المؤتمر قد وُضعت بالفعل، ممّا مكّن الحلفاء من التركيز على التفاصيل الحاسمة للصيغ التنفيذية لهذا النظام.

ويعتقد فيشمان أنّ أمريكا التي أنفقت ألفي مليار دولار لإخراج اقتصادها من أزمة كورونا عليها أن تكون سخية في دعم مؤسسات النظام الجديد تعزيرا لسلطتها الأخلاقية وأن تتجنّب بالخصوص البحث عن كبش فداء لمحاولة التقليل من هول الجائحة التي تسببت في وفيات تجاوز عددها عدد القتلى في حرب الفيتنام وذلك من خلال معاينة الصين أو محاولة إزالتها باتهامها بحجب حقيقة الوضع الوبائي داخلها، مثلما أدّت ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى، ممّا ولد لدى شعبها نزعة إلى الأخذ بالثأر استغلته النازية في ما بعد. وإلغفاء طابع قيمي وأخلاقي على النظام الجديد يرى هذا الخبير ضرورة أن يجتمع الولايات المتحدة وحلفاؤها في أوروبا وآسيا في «رابطة ديمقراطيات»، لتوسيع الدفاع الجماعي خارج المجال العسكري بغية مواجهة التهديدات الأكثر مكررا مثل التدخل في الانتخابات، والتضليل، والإكراه المالي، مع إعطاء الأولوية، على الصعيد الاقتصادي،

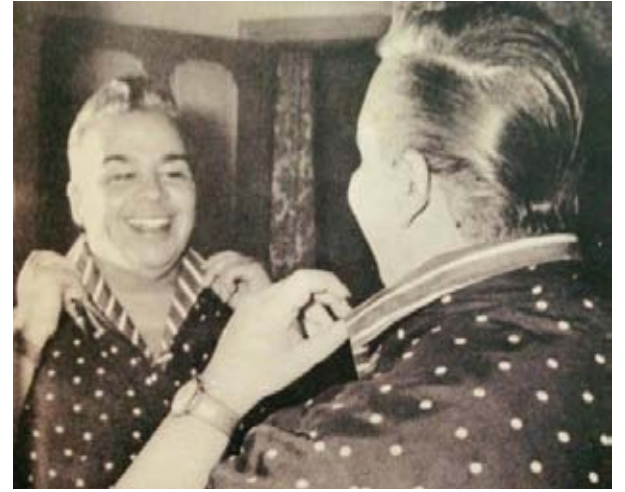
# كافط أمبارك

Eid mubarak

الجزيرة  
ليدرز

الجزيرة  
ليدرز

- الافتتاحية**
- 1 • أي موقع لتونس في النظام العالمي الجديد؟  
عبد الحفيظ الهرقام
- في الغلاف**
- 4 • الشاذلي القليبي: رمز اقتران السياسة بالفكر والأخلاق  
**شؤون وطنية**
- 42 • الحكومة ليست على قلب رجل واحد: انضباط في القصة  
وقصف بالمدفعية الثقيلة في باردو  
رشيد خشانة
- رأي**
- 44 • فيروس الكورونا أمام القضاء  
عبد العزيز قاسم
- مجتمع**
- 46 • الضحك الاجتماعي والسخرية الشعبية  
منجي الزيدي
- 48 • يوميات مواطن عياش: لابس الماصك من قبل الكورونا  
عادل الأحمر
- اقتصاد**
- 50 • ما الذي سيتغير بعد الكورونا في العالم وفي تونس؟  
رضا الشكندي
- 56 • الفراولو... ارتفعت أسعاره فتربع على عرش الغلال في شهر الصيام  
محمد الزايس التوكايري
- 58 • عندما تمتد أياد أئمة إلى أشجار الزان بغابة عين دراهم  
**شؤون دولية**
- 60 • الاتحاد الأوروبي في زمن الكورونا... والمراجعات الكبرى  
محمد لسير
- 62 • العالم يزني لجمال أمريكا... ويرثيها...  
محمد إبراهيم الحصابري
- ثقافة وفنون**
- 64 • في الذكرى الخمسين لوفاة المرحوم علي الرياحي: نهاية حياة وبداية أسطورة  
علي اللواتي
- 69 • توظيف الدراما سياسيا: من المستفيد؟  
عامر بوعزة
- من التاريخ**
- 72 • الأميرة نازلي فاضل ومجالسها الأدبية: رؤى تفتحت فيه براعم التحديث  
د. الحبيب الدريدي
- بطاقة**
- 76 • سؤال أخير  
الصحي الوهابي



الإدارة والتوزيع والاشتراكات  
فيصل المجادي • حمدي المزوغي

الإسناد  
شوقي الرياحي • الحبيب العباسي  
• لمياء عليّات • ليلي منيف

طباعة  
سامباكت

**PR Factory**

مجتمع التّور، مدينة العلوم، صندوق بريد 200، حي المهرجان  
1082، تونس، الهاتف: 71 232 111 - فاكس: 71 750 333

www.leaders.com.tn  
marketing@leaders.com.tn  
redaction@leaders.com.tn

التصور والإخراج  
أحمد الشاربي

موقع الواب  
رايد بوعزيز

صور

ليدرز، محمد الحامي، رئاسة الجمهورية، أمين الفريشي،  
حقوق محفوظة

مراجعة النصوص  
احميدة الحيدري

فيديو  
مروى مقتي

التسويق والاتصال  
هالة فارة • بوران الثيفر

المدير المسؤول  
توفيق الحبيب

مستشار التحرير  
الهادي الباهي

مدير التحرير  
عبد الحفيظ الهرقام

هيئة التحرير

احميده النيفر • رشيد خشانة • محمد العزيز ابن عاشور •  
عبد اللطيف الفراتي • محمد إبراهيم الحصابري • عزالدين  
المدني • محمد حسين فنطر • منى كريم الدريدي • عادل  
الأحمر • منذر بالضيافي • الصحي الوهابي • عامر  
بوعزة • الحبيب الدريدي • توفيق جابر • عادل كمون •  
عادل كعنيش • علي اللواتي • يوسف قديّة • عبد الدايم  
الصماري • خالد الشابي • نجاح الخراز

مجلة شهرية تصدر في منتصف كل شهر  
www.leaders.com.tn

# ليدرز العربية

## هديتكم مع هذا العدد كمامة الوقاية الصحية من الكوفيد. 19



لأنّ الوقاية أضحت حياتية لحمايةكم وحماية الجميع من الأوبئة في زمن الكوفيد - 19، حرصت مجلّتكم ليدرز العربية على إهداءكم هذه الكمامة وهي من الصنف الصحيّ الرفيع والمصنوعة وفق أرقى المواصفات.

هدية نقدّمها لكم بفضل مؤسسة HPP الرائدة، أول مصنّع تونسي للمستلزمات الصحية ذات الاستعمال الوحيد. وراء هذه المؤسسة قصة نجاح نحتها رجل الأعمال التونسي زياد فيزة، وهو مهندس في الإعلامية أصيل قابس ورئيس عديد الشركات في الصّين والدّول العربيّة والأفريقيّة. زياد فيزة بادر بتركيز المصنع في المنطقة الصناعيّة الجديدة بمدينة مطماطة، وهو أول مؤسسة في المنطقة، ممّا ممكّن من خلق مواطن شغل وفيرة العديد وهو يواظب على تعزيز خطوط الإنتاج والزيادة في الطّاقة التصنيعيّة، ملبيّا الحاجيات التونسية ومكتسحا الأسواق الأوروبيّة.



مجلّتكم ليدرز التي كانت منذ شهر جانفي الماضي في طليعة العمل التحسيسي بمخاطر الوباء وسبل التوقّي منه، في التزام مواطني راسخ، تؤكّد بهذه المبادرة رعايتها للصحة ودعمها للصناعات الوطنيّة المتجدّدة، أملة في أن يتواصل مدّ التّضامن وإهداء مثل هذه الكمامات للفئات المحتاجة.

Leaders



ليدرز العربية

Health Production Products  
Cité Elfatéh Matmata Nouvelle 6044 Gabès Tunisie  
Gsm: (+216) 25 82 23 23  
Tel : (+216) 75 23 17 00 - Fax: (+216) 75 23 16 33  
Email: contact@hpp.com.tn - hpp.tunisia@gmail.com

# الشاذلي القليبي

## رمز اقتران السياسة بالفكر والأخلاق

فجعت تونس فجر الأربعاء 13 ماي الجاري في واحد من كبار مؤسسي الدولة الحديثة وبناء الجمهورية. كما فجعت الأمة العربية بأسرها في المرحوم الشاذلي القليبي، مؤسس وزارة الشؤون الثقافية ومخطط السياسة الثقافية وعلم الفكر والأدب البارز والرجل الذي رد الاعتبار للوطن العربي ولل قضية الفلسطينية طوال اضطلاع له لأكثر من عشر سنوات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية. وقد اقترن ميلاد ليدرز العربية في أكتوبر 2015 باسم الراحل الكبير، إذ كان أول شخصية تونسية وعربية تخصّ المجلة بحديث مطوّل صادف يوم الاحتفال بذكرى ميلاده التسعين. وتناول الحديث مسيرته وذكرياته ورؤيته لقضايا العصر ولمسائل السياسة والفكر وطنيا وعربيا. ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع مساهمات الفقيه في المجلة وكان آخرها مقالة التي نُشر في عدد الشهر الماضي عن الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور، بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاته. وبرحيل هذا السياسي المحنك والمثقف ذي الأفق الواسع والرأي الحصيف والكاتب الأملعي المبدع تفقد المجلة ركيزة أساسية من ركائزها وقلما فذا من أعلامها. غداة هذا الفراق الأليم الذي خلف في نفوس إدارة ليدرز العربية وهياة تحريرها عميق الحسرة والأسى نخّص الراحل الكبير بهذا الملف، الذي يضمّ مقالات حول مسيرته السياسية والفكرية الزاجرة ومقتطفات من كتاباته المنشورة على أعمدة المجلة، تحية لروحه الجاهرة وتقديرا لمكانة شخصيته وطنية وعربية مرموقة تمثل بحق رمزا لاقتران السياسة بالفكر والأخلاق.





# الشاذلي القليبي سياسيًا ووطنياً

التي ميّزت حياته، وبالرجوع إلى خطبه وكتاباته، علاوة على استقراره  
حصيلة منجزاته، لأنّ الشاذلي القليبي، رجل الفكر والسياسة، هو رجل  
براغماتي بالأساس.

لكي نستكشف عالم الأستاذ الشاذلي القليبي الرحب ونتبين العوامل التي  
سأهمت في نحت شخصيته وأثرت في تشكّل وعيه الوطني، لا بدّ لنا  
من أن نعود إلى فترة طفولته، و«الطفل أب الإنسان» كما قال الشاعر  
الإنكليزي ويليام وردزور (William Wordsworth). ولعلّ ما يسترعي  
الانتباه أن رجلا كان لهم دور حاسم في رسم معالم طريق السيد الشاذلي  
القليبي، بدءاً بعمّه إبراهيم الذي تدخل لترسيمه بالفرع الصادقي، في  
الوقت الذي كاد فيه الطفل أن ينخرط في مدرسة قريبة من المنزل العائلي،  
والفرع الصادقي يمتاز إذّاك عن سائر المدارس الابتدائية بمستوى عال في  
تعليم العربية والفرنسية. وعلى يدي معلمه الشيخ «محمد الزغواني»  
تعلم مبادئ اللغة والنحو والصرف ونهل من منابع الإسلام السمحة و جبل  
على مكارم الأخلاق، علاوة على ما تلقاه من أسرته المحافظة من تربية  
أصيلة، فكان منذ الصبا متيقظاً إلى أهمية الدين في الحياة.

عندما أحرز الشهادة الابتدائية تباينت الآراء في العائلة حول وجهته  
الدراسية، هل يلتحق بالمدرسة الصادقية أم بالمدرسة الفرنسية؟ وقد أصرّ

• بقم عبد الحفيظ المرقام



ما يعرف عن الراحل الأستاذ الشاذلي القليبي أنّه شخص شديد الاتزان،  
هادئ الطبع، نقيّ السيرة، يميل إلى العمل الرصين، مع دقّة وثبات لافتين،  
بعيدا عن صخب السياسة ويؤثر الأفعال على الأقوال، وهو ما يستوجب  
ممن يروم استجلاء جذور وعيه الوطني وملامح مقارنته للعمل السياسي  
وأسلوب تعامله مع مختلف المسؤوليات التي نهض بأعبائها سبر أغوار  
عامله واستكناه دوافع مواقفه وتحليل منطلقات فكره، من خلال المحطّات



الأليمة - المروحة بين الرفض والانجذاب، بين الانبهار والأنفة، بين إرادة الكفاح والانعطاف اللاشعوري - هذه الثنائية كانت تؤازر المساعي الوطنية، ولكنها تخدم أيضا بعض الأهداف الاستعمارية، من طرف خفي، فلا نستطيع مغالبتها»<sup>1</sup>.

ولاشك أن العديد من أترابه كان يتملكهم مثل هذا الشعور بالتمزق والانقسام، المثير لحس وطني مكين، لاسيما وأن قادة من الزيتونة والصادقية تصدوا لما للاستعمار من تأثير ثقافي. «ولم يكن أقلها شأنا في إحياء الضمير واجتهار منابع الذاتية التونسية لدى تلاميذ الصادقية ما كانوا يسمعون من أسانذتهم علي البلهوان ومحمود المسعدي وعبد الوهاب بكير ومن مشائخهم،... كل في مجاله وكل بأسلوبه الخاص... وكان لكل منهم، في فترة التوثب الوطني... موقع في الأنفس ودوي في المجتمع»<sup>2</sup>.

وحين عزم الشاب الحاصل على شهادة البكالوريا وشهادة انتهاء الدراسات الصادقية على دراسة الطب بباريس، تدخل أستاذه محمود المسعدي فدعا في رسالة مقتضبة إلى التوجه نحو اختصاص فيه نفع كثير للبلاد، ففهم القصد من هذه الكلمات والتحق بكلية الآداب بجامعة السربون. هل كان الأستاذ يتنبأ لتلميذه النابغ بمستقبل سياسي واعد؟

وهل قدر أن دراسة الأدب هي المسلك الأقوم لخدمة الشأن العام والمعبّر نحو تحقيق الذات واكتساب منزلة في الوجود؟ ولعل صاحب «مولد النسيان» كان يرى في انغماس القليبي في عالم الأدب والفلسفة مولد ضمير يقظ وفكر متوهج لديه، هما خير سلاح يتمكن به شاب مثله من أن يسلك طريقه في خدمة وطنه.

هذه المرة زوج عمته محي الدين القليبي، مدير الحزب الحر الدستوري، على أن يتقدم إلى مناظرة الالتحاق بالصادقية، وكأن القدر أراد أن يكون الشاذلي القليبي صادقيا.

## تأثير المدرسة الصادقية فيه

لقد كانت الدراسة بالمعهد الصادقي مرحلة مفصلية في حياته، فبفضل مشائخ الزيتونة، عمر العداسي والبشير النيفر ومحمد الفاضل ابن عاشور والمختار بن محمود تشبع بروحية الإسلام وعرف جمال اللغة العربية وإمكاناتها الخطابية. وأخذ عن أستاذه عبدالوهاب بكير قواعد الكتابة أما أستاذه محمود المسعدي فأيقظ فيه موهبة الفكر وعزفه منزلة الأدب. ومن خلال أساتذته الفرنسيين، عرف الشاب اليفاع تاريخ المستعمر وأدرك أسباب تقدم الغرب واكتشف كنوز الحضارة الفرنسية في شتى مجالات الإبداع الفكري والأدبي. وكان ما يتلقاه من هؤلاء الأساتذة من علوم ومعارف مصدر انبهار يختلط بالمرارة، إذ سرعان ما يزول مجرد مبارحته فضاء المدرسة ليصطدم بحالة الذل والهوان التي يعيشها شعب موالي عليه يتوق إلى الحرية والاعتناق.

يقول السيد الشاذلي القليبي في هذا الصدد: «كان الاستعمار... سياسيا واقتصاديا وكان أيضا ثقافيا وحضاريا: مستمسكا بالحكم، مستأثرا بالثروات، متطلعا إلى أن يملك العقول، ليفرض نظرتة إلى مصير البلاد. وفي كل ذلك، كان تأثير عميق، ولو من طرف خفي، لجدلية العلاقة بين الغالب والمغلوب - التي كان ابن خلدون أول من أشار إليها - وما تنشئه في النفوس من نزاع بين العداة والإعجاب، وما تدفع إليه من رغبة في تقليد المستعمر والافتداء بأحواله، مع دوام التصميم على مقاومة سيطرته، هذه الثنائية







من بين مؤسسي جريدة «الصبح» ومجلة «الندوة» وأحد كتاب افتتاحية جريدة «L'Action» الناطقة باسم الحزب الحرّ الدستوري باللغة الفرنسية، وبذلك أضحى اسمه معروفا في الأوساط التربوية والنقابية والصحفية على حدّ سواء، ممّا يسّر له خوض غمار الحياة السياسية.

### مسيرته السياسية

دخل عالم السياسة من بوابة الإذاعة لما عينه الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة سنة 1958 على رأس هذا الجهاز الإعلامي الوطني، في وقت كانت فيه البلاد تعيش ظروفًا دقيقة، جرّاء تداعيات الخلاف المحتمل بين بورقيبة وصالح بين يوسف وما نجم عنه من انقسامات في صفوف الحزب ومخاطر كادت تهدّد البلاد والعباد. وكان على السيد الشاذلي القليبي أن يردّ بعقلانية ونجاعة على الحملات الإعلامية ضدّ تونس وزعيمها، فضلا عن تركيز الجهود، برامجا، على الإسهام في تمثين الوحدة الوطنية والتعريف بسياسة الدولة الفتية وتعبئة الطاقات الحية من أجل إنجاحها. وعلاوة على هذين البعدين السياسي والإعلامي، اصطبغ إنتاج الإذاعة بطابع ثقافي جلي، وفي عهده أرسيت تقاليد عمل وأقرت توجهات ظلت راسخة إلى الآن.

ولا شكّ أنّ النجاحات التي حقّقها الأستاذ الشاذلي القليبي خلال إدارته للإذاعة التونسية، كانت من العوامل التي أهلته لتحمل مسؤولية تأسيس وزارة الشؤون الثقافية بعد أن نال التصوّر الذي قدّمه بشأن أهدافها وخطط عملها استحسان الرئيس بورقيبة.

### تلازم الأخلاق والسياسة

في باريس، التي كانت تعتمل فيها تيارات سياسية وفكرية مختلفة وتنضج بنشاط ثقافي وفتى حثيث، واطب الطالب الشاذلي القليبي، إلى جانب دراسة اللغة والآداب العربية، على حضور عديد المحاضرات وحرص على نيل شهادات في علم النفس وعلم الاجتماع والأخلاق والفلسفة العامة. وعلى الأرجح، أنه درس، في هذا الإطار، العلاقة بين الأخلاق والسياسة، ولعلّه خلص إلى الإقرار، متأثرا بأرسطو، صاحب كتاب «السياسة»، بأنّ التزاوج بينهما ضروريّ ومطلوب، وبأنّ هدف السياسة ليس في نهاية الأمر إلا تحقيق الخير الوفير للمجموعة. وقد لا أجنب الصواب إن أكّدت أنّ الشاذلي القليبي، كان دوما على هذا الرأي، انطلاقا من عمق إيمانه بالقيم الإنسانية ومواظبته على الشأن الديني شعورا وفكرا-باعتماد الدين معين الأخلاق- وأنّ تلازم الأخلاق والسياسة هو من ركائز فكره السياسي وثوابته.

### الشاذلي القليبي مدرّسا ونقابيا وصحفيًا

وحينما عاد إلى تونس بعد إنهاء دراسته بباريس، انخرط في سلك التعليم واستهواه النضال النقابي، فنشط في هذا المجال، إذ كان أستاذه محمود المسعدي يشرف على نقابة التعليم الثانوي، ثمّ انضمّ إلى الفريق العامل حول صديقه السيد أحمد بن صالح لما انتخب أمينًا عاما للاتحاد العام التونسي للشغل واضطلع بإدارة صحيفة «صوت العمل لسان الاتحاد بمعية شقيق الأمين العام. كما كان للأستاذ الشاذلي القليبي نشاط بارز في ميدان الصحافة، إذ هو



وأذكر أن الأستاذ الشاذلي القليبي كان يتهياً للالتحاق بمنصبه، سفيرا لتونس بالقااهرة ، بعد خروجه من الحكومة، وإذا بالرئيس يقرّر العدول عن هذا التعيين ويدعوه ليكون إلى جانبه، مديرا للديوان الرئاسي، تقديرا لما كان يتحلّى به من كفاءة عالية ونزاهة وتكتم.

لقد وجد فيه رئيس الدولة المسؤول المناسب لتقلّد هذا المنصب، والرجل المتشبع بفكر الرئيس، القادر على التعبير عن رؤاه الثاقبة في العديد من المسائل الجوهرية، كالاتجاه في الإسلام ونبذ التطرف والتعصب الفكري والقضية الفلسطينية والعلاقات الدولية والانفتاح على الغرب.

علاوة على ذلك، يتميز السيد الشاذلي القليبي بتمسّ سياسي نابع من طيب الخلق يدفعه دائما إلى النأي بنفسه عن الدسائس والمناورات -وكم هي كثيرة في عالم السياسة!- وتجنّب الدخول في صراعات الأجنحة، سواء في الحزب أو في الحكومة، وكان ديدنه الحرص الدائم على الحفاظ على تماسك الدولة وهيبته. فالكثير يشهد أنّ السيد الشاذلي القليبي لم يكن يوما تابعا لشقّ في الحكم أو طرفا في خصومة سياسية، بل كان سيّد نفسه، متناغما مع ذاته، وفيًا لأصدقائه ورفاق دربه، الأمر الذي جعله الصديق الودود للجميع.

### نشاطه الفكري بعد الجامعة العربية

وفي أواخر سبعينات القرن الماضي، كُتب للأستاذ الشاذلي القليبي أن يبارح الساحة السياسية الوطنية ليلتحق بفضاء أرحب، هو فضاء العمل العربي

وانطلق الوزير في تجسيم رؤيته للعمل الثقافي الذي يعتبره عاملا مساهما في مقاومة التخلف، والتخلف أصله ثقافي وفكري وحضاري، وكذلك في تنمية هوية الشعب التونسي وتطوير المجتمع مع الحفاظ على مميّزاته الاجتماعية والأخلاقية بما فيها انتماؤه إلى الحضارة العربية الإسلامية. وأبدى السيد الشاذلي القليبي حرصا شديدا على أن يكون العمل الثقافي عاملا انفتاح على الحضارات الإنسانية، فكانت المهرجانات الدولية وفي مقدمتها مهرجان قرطاج وأيام قرطاج السينمائية ومعارض الكتاب، ومعارض الفنون التشكيلية، وعروض الموسيقى والمسرح، فضلا عن الأنشطة الثقافية الأخرى التي لم تقتصر على المدن الكبرى، بل شملت أيضا البلدات الصغرى في شمال البلاد بدون استثناء، وذلك من منطلق أنّ الثقافة لا ينبغي لها أن تستهدف النخب فحسب. وقد صرفت جهود جبارة، رغم تواضع إمكانات الدولة الفتية، في سبيل إضفاء طابع جماهيري على العمل الثقافي بكل انساقه، فكانت دور الشعب والثقافة، ونشر المكتبات العمومية وإطلاق حافلات السينما المتجولة التي كانت تجوب المدن والقرى وعمّت الأنشطة الثقافية مختلف الأرجاء. وقد أحاط الأستاذ الشاذلي القليبي به ثلّة من أفضل المثقفين وفسح لهم مجال الاجتهاد والابتكار والإبداع، وذلك كان أسلوبه المميّز في التسيير.

وهو الأسلوب نفسه الذي انتهجه لدى إشرافه على قطاع الإعلام، وكان له فيه دور رائد من حيث رسم سياساته وتوجيهه نحو التعريف ببرامج الدولة وخدمة أهدافها.



كنتأثيرات حرب الخليج في علاقات الدول العربيّة بالغرب، والعالم العربي في القرن الحادي والعشرين، ووزنه في ظلّ نظام العولمة. وتصدّى في جانب مهمّ من الكتاب لما يعتبره، في تقديري، من أوكد الفروض التي على المثقّف المسلم أن يؤدّيها إزاء دينه وحضارته، ألا وهو نشر رسالة الإسلام الخالدة وإبراز ما يتميّز به من إعلاء لقيم التسامح والاعتدال والوسطيّة، دحضا لافتراءات أعداء الاسلام وردّا على دعاة العنف والتطرّف والانغلاق.

واستثمر الأستاذ الشاذلي القليبي، من ناحية أخرى، المسافة الزمنية التي تفصله عن مراحل حاسمة في العهد البورقيبي وأحداث عاشها ليخضعها لقراءة متأنّة، فأبدى رأيه في جملة من المواضيع، بنظرة ثاقبة وعين ناقدة، كموضوع الفصل بين التعليم الزيتوني والتعليم العصري وموضوع الديمقراطية والحريّات التي يعدّ غيابها من سلبات الحكم البورقيبي وقد أشار إليه في كتابه المترجم من الفرنسيّة إلى العربيّة بعنوان «أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة» بقوله: «كان الحبيب بورقيبة مقتنعا بأنّ التنمية وحدها قادرة على خلق مجتمع حرّ. ولكن لا أحد من حوله كان يعتقد أنّها أن التنمية والحريّة هما ثنائيّ يمكن، بل يجب أن يفرضي كلّ واحد منهما إلى الآخر. وإذا كان صحيحا أنّ التنمية توفر الظروف الملائمة للحريّات الفردية والجماعية، أليس من المعقول أيضا أنّ المزيد من الحريّة يمكن أن يسرّع من وتيرة التنمية ويحسن الإنتاجيّة ويجنّب البلاد، دون شكّ، بعض الأزمات المؤذية التي تركت آثارها لفترة طويلة على الحياة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية؟ هذا السؤال لم يكن يطرح- على الأقلّ حتّى تاريخ معيّن وبشكل علني - وكان يبدو أنّه لم يكن يطرح نفسه،

المشترك والعلاقات الدوليّة، قبل أن يتحالف الكبر والمرض على الرئيس الحبيب بورقيبة. وبفضل مراكمة تجربته السياسيّة الواسعة ورؤاه الحصيفة المبنية على العقلانيّة والاستشراف اقتدر أن يحوّل جامعة الدول العربيّة إلى منظمة رائدة وأظهر في إدارة شؤونها ما به جلب له تقدير القادة العرب وكبار الساسة في العالم، وبرهن عن حنكة سياسيّة لافتة في التعامل مع القضايا المتشعبة المطروحة إذّاك، مواجها التناقضات العربيّة واختلاف الأمزجة والأهواء بحكمة وصبر وأناة.

حافظ على استقلاليّة الجامعة وصان هيبتها وحماها من كلّ تدخّل في شؤونها، ممّا أكسبها سلطة أدبيّة أقوى وقدرة أكبر على الصمود أمام أحداث عاصفة كانت تهزّ الوطن العربي وترزعزع أركانه.

بعد استقالته من الجامعة، إثر الغزو العراقي للكويت، لم تكن الساحة السياسيّة في تونس لتستهوي السيد الشاذلي القليبي وأمثاله من السياسيين، لما كانت تشكوه من انسداد الأفاق وضيق هامش التحرك، فاكتمت بإطلاقات في مناسبات وطنيّة وحزبيّة محدودة. وعادة ما ينزع المرء، إثر الخروج من دائرة الأضواء، إلى الانكماش والانزواء، لكنّ الرجل، أقبل على حياة جديدة ملؤها التأمّل والبحث والكتابة، وظلّ دائما متيقظا إلى واجب المثقّف في التفكير في قضايا مجتمعه وأمتّه وفي تناول شواغل عصره. وفي حوار مع الإعلامية الفرنسيّة جونوفيا مول (Geneviève Moll) الذي صدر في كتاب باللغة الفرنسيّة يحمل عنوان « الشرق والغرب، السلام العنيف» 3 قدّم بعمق وجهات نظره بشأن العديد من المسائل السياسيّة والحضاريّة،



رمزية كبرى صنعها رئيس بلدية قرطاج وشيخ مدينة روما السيد أوغو فيتيري Ugo Vetere حينما وقعا، في حفل مشهود، معاهدة الصلح بين مدينتيهما بعد ما يزيد على واحد وعشرين قرنا على الحرب البونية الثالثة. وفي هذا الحدث الاستثنائي عنوان لعنق البعد الإنساني في وجدان السيد الشاذلي القليبي ودليل لإيمان راسخ بفضيلة الحوار بين الشعوب والحضارات. وفيه كذلك رسالة أمل في أن يكون حوض البحر الأبيض المتوسط بحيرة أمن وسلام ومصدر عطاء حضاري لا ينقطع.

ولكل عمل قام به السيد الشاذلي القليبي في مختلف مهامه بعد رمزي واضح أو ضمني. 5 أليس حذق فن الرمزية والإيحاء والتلميح من خصائص أسلوبه؟

تلك خواطر أوحى لي بها مسيرة الراحل الكبير الطويلة على الصعيدين الوطني والعربي، الزاخرة بالجهود المخلصة في خدمة بلاده وأمته، كما أوحى لي بها ملامح شخصيته المبهرة التي تمتزج فيها كاريزما سياسي بصفاء سريرة الإنسان وبحس المثقف المرهف وبتوسع أفق المفكر. 1. ع.هـ.

1 - من محاضرة ألقاها في 29 ديسمبر 2005، بمناسبة إسناده الدكتوراه الفخرية من الجامعة التونسية.  
2 المصدر السابق

3 - Chedli Klibi, Geneviève Moll, Orient-Occident, La paix violente. Édition Stand 1999, France  
4 - الشاذلي القليبي، «أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة»، الكلمة الحرة ديمتر، تونس، ص 17 و ص 18  
5 - عبد العزيز قاسم، من توطئة الكتاب المشار إليه سابقا، ص 7

نظرا إلى سيطرة التصور القائل بأن قوى معادية غامضة تسعى لتقويض الصرح الذي يجري تشييده. ولما استقرت العادة غدا من الصعب تغييرها» 4. إن ما يديه السيد الشاذلي القليبي من إعجاب بالزعيم الحبيب بورقيبة وما يكنه له من محبة جنبه الوقوع في شرك عين الرضا بعبوبه، وإن ملازمته لرجل عظيم مهما كانت مثيرة ومثيرة لا تخلو من المخاطر كما لا تخلو من خيبات الأمل، مثلما أشار إلى ذلك الأستاذ عبد العزيز قاسم في توطئة الكتاب.

وآخر ما ألف الفقيه كتاب «تونس وعوامل القلق العربي» وقد عالج فيه ما حصل بتونس غداة 14 جانفي 2011 على مستويات عدة منها علاقة الثورة بالإعلام والثقافة وتقلبات المجتمع وهما ينبغي أن تلتزم به من ضوابط. كما خصّ الزعيم الحبيب بورقيبة بصفحات مطوّلة أوضح فيها خصائص اجتهاداته الدينية في مجال تحرير المرأة ورؤاه السياسية إزاء القضية الفلسطينية وحول مشاريعه المجتمعية الحضارية. ومن مواضيع الكتاب الأساسية نظرة المؤلف إلى الإسلام باعتباره دين القوام نافيا عنه كل التأويلات الموروثة عن عصور الانحطاط والتي جعلت منه مصدر عنف وإرهاب. كما تطرّق الأستاذ الشاذلي القليبي إلى ما يكابده العالم العربي من تمزق وتدمير داعيا إلى ضرورة الأخذ بالعمل العربي المشترك وفق الخطة التي أشرف على إعدادها وتقديمها إلى مؤتمر القمة الحادي عشر بعُمان.

في مسيرة الأستاذ الشاذلي القليبي الطويلة، يستوقفنا حدث فريد من نوعه، ما كان ليخطر ببال أحد وما كان لأحد سواه أن يحققه، حدث ذو دلالة



# وداعا سي الشاذلي خواطر حزينة ليوم حزين



• بقلم عبد العزيز قاسم

## صباحة

يوم شاحب أغبر، يوم الأربعاء 13 ماي الجاري، انطفأ رجل التنوير، الشاذلي القليبي، انطفأ مصباح متعب أو منارة مرفئية أطاح بها إعصار. غادرنا المفكر الكبير ورجل الدولة المتميز فتك في أحبابه إحساسا باليتم وفي تونس التي خدمها إلى آخر رمق فراغا ولوعة. كانت أحواله الصحية قد تعكرت منذ مدة ألزمته الحجر شهورا. سألت حرمه السيدة كلثوم عن أخباره قبل أسبوع خلا فكان الجواب غير مُطمئن ورغم إحساسي بأن النهاية اقتربت نزل عليّ نعيه نزول الصاعقة.

قبل الحجر والحظر اللذين فرضهما فيروس الكورونا على الجميع كنت من بين القلائل الذين حطوا مرات بزيارة الراحل الكبير. وكان لتلك الزيارات تعلّة إطلاع على مراحل نشر كتابه «تونس وعوامل القلق العربي» (دار الجنوب، تونس، جانفي 2020). ورغم ما كان عليه من إرهاق، كان يرتاح لهذه الزيارات القليلة وهو الرجل الذي كان يحبّ المؤانسة. وأذكر أنه كان سعيدا حقًا لما زرته حاملا مجموعة من نسخ كتابه فور صدوره. وقد اشتغل طويلا على هذا الكتاب، وكان قد شرفني بقراءة المخطوط وإبداء الرأي فيه وكان لي معه نقاش في محتوياته وكان كهمالي الكتابة صفائي الأسلوب يعود إلى النصّ مرات مُهدبًا مُضيفا حادفاً وكان الناشر ينتظر فسطوت على المخطوط وقلت له: «لا زيادة ولا تنقيح بعد الآن» فاستسلم لما ذكرت له ما جرى للشاعر بول فاليري إذ اختلس أحد أصدقائه قصيدة «المقبرة البحرية» ونشرها مبرّزا ذلك بأنه لو لم يفعل لفضى الشاعر بقية حياته يكتبها ويعيد كتابتها. لم يكن صاحبنا قصاصا ولا شاعرا ولكنه كاتب عرّف بدقة تعبيره وجزالة لفظه ويندرج ضمن صاعقة الأدب في مفهومه العباسي أو الأندلسي الكلاسيكي. يضاف إلى ذلك منحي فكري واضح ومنهجية فلسفية لا يحيد عنها فالرجل مرّز في اللغة والأدب العربية من جامعة السربون وحاصل على الأستاذية في الفلسفة. ليس غريبا إذن أن يكون عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

عرفت الشاذلي القليبي من خلال ما كان ينشره في الجرائد كالمصباح وصوت العمل و«لاكسيون» أو مجلتي «الندوة» و«الفكر» وغيرها من الصحف والدوريات العربية من مقالات وفصول ومقابلات تتماهى مع اهتمامات اللحظة الثقافية والاجتماعية. وعملت بالإذاعة منتجا أيام كان مديرا للإذاعة الوطنية. كان المنصب حارقا والكروسي قاذفا لشدة قربيه من الرئيس ومع ذلك أقام الشاذلي القليبي أطول مدة على رأس المؤسسة أقامها مدير عام في العهد البورقيبي. كان بورقيبي راضيا عنه ولولا أنه كان يفكر فيه لمهام أخرى لأبقاه حيث هو.

كان بورقيبي يفكر، على غرار دي غول، في إحداث وزارة للشؤون الثقافية باحثا عن «المالرو» تونسي يوليه أمرها فطلب من ثلاثة مسؤولين كلّ على حدة وبصورة سرية أن يقدموا له مشروعا مفصّلا لتحقيق هذا الإحداث ففاز الشاذلي القليبي. حتى قيل إنه الوزير الوحيد الذي دخل الحكومة عن طريق مناظرة.

وملأ الرجل كرسية. فهو الذي خطّط لتونس سياستها الثقافية وهيكل الوزارة بما يجعلها تشرّف على كلّ القطاعات المعنية بالشأن الثقافي من أداب ومكتبات ومسرح وسينما وموسيقى وفنون وآثار ولجان ثقافية ومهرجانات وتعاون وتبادل مع الخارج. كانت الميزانية ضعيفة إلا أنه كان يعمل بمقولة استيفاء أقصى ما يمكن من أدنى ما يتوفر. وبفضل ما أقامه من علاقات تعاون وتبادل

مع الدول الشقيقة والصديقة استطاع أن يوفر للوزارة مددا في شكل منح دراسية لفائدة مختلف العاملين في الحقل الثقافي من كلّ الاختصاصات وفي شكل تمويلات لنشاطاتنا في الخارج كإقامة الأسابيع الثقافية أو العروض والمعارض الفنية بما يضمن لتونس حضورا وإشعاعا خارج الحدود.

وفوق هذا كلّ كانت للوزراء والموظفين السامين في العهد البورقيبي مسؤولية تمثيل تونس تمثيلا لائقا ليس في المحافل الدولية أو المقابلات الرسمية فحسب بل وحتى في اللقاءات العادية، لما في ذلك من مردود معنوي ومادي مباشر وغير مباشر على البلد. وكنا، نحن الإطارات، نقسّم مسؤولينا الذين لهم صلات دائمة أو ظرفية مع نظرائهم شرقا وغربا إلى قسمين: أحدهما مُشرف بما له من أناقة هندام وتفكير وتعبير والآخر مُخجل لتعاسة المظهر والمنطق. وفي هذا المجال كان الشاذلي القليبي بالنسبة إلينا مصدر فخر واعتزاز.

هذا التألق والإشعاع هما اللذان جعلنا ترشيحه لمنصب الأمين العام لجامعة الدول العربية غداة انتقالها إلى تونس مقبولا مرحّبا به عربيا. وبفضله كانت عشرية الثمانينات من أزهر عقود الجامعة رغم صعوبة المرحلة. وإنّ ما توصلت إليه الجامعة في عهده من ضبط شروط التعاون العربي المشترك وأبعاده ما زال يصلح نبراسا ينير الطريق أمام أمة فقدت بوصلتها في هذا الزمن الرديء وكانت القضية الفلسطينية على أفضل حال أيام كان محاميا البارِع في العالم وخاصّة في أوروبا وأمريكا الجنوبية.

وتعود بي الذاكرة إلى بداية السبعينات حيث دعاني إلى الالتحاق بوزارته وكلفني بالإشراف على إدارة كانت في نظره ذات أهمية قصوى لاتصالها بالجمهير وتموقعها في صلب النشاط الثقافي العام، هي إدارة دور الشعب والثقافة. وأوكل إليّ القيام بزيارات ميدانية للتفقد والتنسيق مع المصالح المعنية لإنجاز مزيد من هذه الدور بناء وتجهيزا. قضيت سنتين مرّتا كالحلم إلى جانبه كواحد من معاونيه المقربين ثم غادر الوزارة وغادرتها بعده إلا أنّ علاقتنا الودية والثقافية استمرت قائمة إلى النهاية. وأنا شديد الاعتزاز إذ حظيت منه بمقدمة لأوّل مجموعة شعرية أصدرتها بالعربية وبأخرى لآخر كتاب جيوسياسي بالفرنسية نشرته بباريس. هذا عدا أي شاركت في ترجمة بعض كتبه إلى العربية أو في مراجعة ترجمتها.

ولقد سبق لي أن نوهت بهذه المودة مستشهدا بمقولة لأحد مشاهير كتّاب القرن السادس عشر هو ميشال دي مونتاني: صداقة الرجل العظيم هبة من السماء.

كان وزيرا للثقافة والإعلام متصلين ومنفصلين، فوزيرا مديرا للديوان الرئاسي فأميننا عاما لجامعة الدول العربية وكان أيضا رئيسا لبلدية قرطاج. خمنت مرة أنه كان يشعر في دخيلة نفسه أنّ أهم ما اضطلع به من مسؤوليات هي الإشراف على بلدية مدينة آل بركا العظيمة إذ وصل به الإحساس بأنّه الوريث ثقافة وانتماء إلى قرطاج عليسة وحنبلع. أذكر أنه قرأ هذا الافتراض الجريء من قبلي فأطرق قليلا ثم رفع رأسه وابتسم قائلا: «أنت تفهمني».

وها هي أرض قرطاج تفتتح لاستقبال جسده الطاهر العريق...  
ع.ق.

# رحيل الرجل الصالح



• بقلم أحمد الهرقلم

الأمين العام من مهامه في تونس، وانزوى الرجل في بيته وتفرغ للكتابة والتأمل لكنه لم يستسلم لمنطق الهزيمة السائدة من حوله فكان يجمع أوراقه ويكتب ويفكر وينشر آراءه في كتب ومقالات مختلفة.

وكان في الأثناء يستقبل زائريه ومحبيه في بيته بودّ حقيقي وبابتسامة غامضة، فلا يلقي برأي متهور، ولا يذكر اسما، مهما كان، بسوء، وكان أغلب الحوار معه يدور حول الكتب والأفكار والتحوّلات السياسية في العالم وما يتصل منها بالعالم العربي وتونس على وجه الخصوص ..

كان عفيف اللسان وكثيرا ما يترك الانطباع عند سامعيه بأنه لا يستمتع - مثل غيره - بإذابة الآخرين والحط من قدرهم .. ولكن كثيرا ما يكتشف الزائر عنده خفة الروح وسلاسة الدعابة الرفيعة التي يتمتع بها بأسلوب ساخر فيه نظرة عالية الذوق، كل ذلك دون إسفاف أو تجاوز للأعراف. ومن الأكيد أنه كان مقدّسا لروح الصداقة و«العشرة»، بدون تملق أو إصرار. كان دقيق الملاحظة في تحليل الشخصيات من حوله دون أن يلجأ إلى سهولة التحقير والتشفي حتى مع من عاداه وأضره.. سوف يحفظ التاريخ للأستاذ الشاذلي القليبي نصاعة وطنيته وحيه الممكن لتونس وأهلها وحرصه على تقدّم الدولة التونسية الحديثة ومناعتها.

رحم الله الرجل الصالح، الصبور الوفي الذي عرفته واشتغلت تحت إمرته طيلة عقدين من الزمن، فقد كان إنسانا بكل ضعفه وعنفوانه ورقّة قلبه ونصاعة سريره، رحمه الله رحمة واسعة..! هـ.

أرض من «الوفاق العربي» ليقف عليها ويحاول توسيعها ويبنى انطلاقا منها جسور التوافق المستحيل بين الرجال والسياسات المتناقضة..

وكانت الأمانة العامّة في عهده في تونس خلية حيّة يجد فيها كل أبناء الوطن العربي موافعهم، ممثّلين لجنسياتهم وأجناسهم وثقافتهم المختلفة..

كانت جولاته واتّصالاته الواسعة والنشطة خيمة تتسع لمحاولة إنشاء أسس لديبلوماسية عربية مشتركة - وإن كانت متواضعة - ، انبثق عنها في حينه العديد من الإنجازات نذكر منها:

- الحوار العربي الأوروبي وما جلبه من منافع واعتراف دولي بشرعية القضية الفلسطينية.
- والتعاون العربي الإفريقي وما رافقه من إنشاء بنوك وصناديق تنمية عربية في إفريقيا وكذلك مثلها في آسيا وأمريكا اللاتينية.

وكان من أهم إنجازاته «رحمه الله» العمل على إقناع قادة الدول العربية بإرساء دورية دائمة وثابتة لانعقاد القمّة العربية، وتدعيم منظمات العمل العربي المتخصصة، ثم تولّى تجميع العديد من فرق الخبراء العرب في مختلف التخصصات وجمعهم في تونس للعمل في ورشات تنكبّ لعدة أشهر بغية تعصير أعمال ومؤسسات هيكل الجامعة العربية وإنشاء محكمة العدل العربية واقتراح مناهج جديدة للتعاون المشترك على غرار ما جرى في منظمات الاتحاد الأوروبي. وبعد كارثة الزلزال الذي حلّ بالوطن العربي إثر غزو العراق للكويت وما تلاه من انفراط لأحلام الوفاق العربي، وما جدّ من كوارث أدّت فيما أدّت إليه من أهوال إلى الواقع العربي الراهن استقال

عليّ خبر رحيل الأستاذ الجليل، الصالح، الشاذلي القليبي نزول الصاعقة، فزلزل كياني وأفقدني بعض توازني .. فبالرغم من كونه

خبرا منتظرا، عن الأجل المحتوم « ولكلّ أجل كتاب» فإنني كدت أعتقد لفرط معرفتي بالرجل ومودّتي نحوه، أنه «لن يموت» بعد هذا العمر المديد..

فقد كان رحمه الله عميق الثقافة ، واسع الأفق فكريا ودينيا وإنسانيا، وهي صفات يتزيّن بالقليل منها الإنسان العادي ويفخر بها .. إلا أنّ الأستاذ القليبي من شدة ورعه وتواضعه كان يخفيها بتلقائية، ويطيؤها في صمته وهمته العالية..

عاش الرجل في مفترق القرنين، وخاض غمار أحداث وأهوال ميلاد دولة الاستقلال وتطوّرات الأوضاع السياسية طيلة الحقبة البورقسية. وشارك في بناء صرح السياسة الثقافية فيها. فأدخل الأساليب العصرية لنهضة الثقافة التونسية الحديثة، وأشاع بالخصوص ثقافة السينما والمسرح في عموم الأرياف والمدن البعيدة وفتح المكتبات العمومية وجعلها في متناول الأجيال في كل مكان. وكان بذلك وزيرا وطنيا رائدا، وصديقا لأهل الفكر والقلم طيلة عقود.

ثم شاءت الأقدار أن ترشّحه تونس في ظرف دقيق لأمانة جامعة الدول العربية فكانت فرصة فريدة ليكشف الرجل عن مواهب حقيقية مارس بفضلها السياسة العربية والدولية بعقلية المثقّف الواعي بواجباته الوطنية والقومية. فكان يعالج أدقّ القضايا وأعقدّها، من الحرب العراقية - الإيرانية إلى الحرب الأهلية اللبنانية إلى إنجاز اتفاق الطائف الشهير. وكان دؤوبا في سعيه المضمّن لإيجاد أبسط قطعة



# الأستاذ الشاذلي القليبي عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية



• بقلم رافع ابن عاشور

الفاضل ابن عاشور، ليحتل الكرسي الذي كان يشغله المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب. فخلال آخر دورة حضرها الشيخ بالمجمع المذكور، لم يتردّد في اقتراح «ابنه» الأستاذ الشاذلي القليبي لما لمس فيه من النجابة ومن الانفتاح ومن الإشعاع. وقد قدّم الشيخ محمّد الفاضل ابن عاشور مرشحة لعضوية المجمع بهذه الكلمات البليغة الجامعة التي تختزل مسيرة الرجل: «إنّ من أزكى من تتوفّر فيه خصال الكفاءة للانتساب إلى مجمع اللغة العربيّة، رجلا من ألمع رجالات الثقافة والأدب والفكر بتونس، رجلا قد توفرت فيه إلى جانب ثقافته المرّكزة البعيدة الغور، ميزة الذود عن العربيّة وآدابها والعزم الراسخ على إحياء أمجادها وتراثها الجليل، وهو إلى جانب ذلك الرجل الذي حقّق لتونس في عصرها الزاهر وثبتها الثقافية الرائدة، وأعني به مرشحكم ابني الأستاذ الشاذلي القليبي».

الأمين العام للجامعة العربية الملتزم بالقضايا القومية والذي لم يحد عن المبادئ السامية في أصعب الظروف، كان أولا وبالذات رجل ثقافة بأتم معنى الكلمة. فقد كان، وباعتباره خريج المدرسة الصادقية من ناحية، وخريج الجامعة الفرنسية (الصابون) من ناحية ثانية، ثنائي اللغة والثقافة، مع تعلق شديد باللغة والآداب العربيّة. فقد مسك بناصية اللغة العربيّة وآدابها دون تعصّب وانزواء. ولما تسمعه في خطبه ومحاضراته، يخيل لك أنّ كلامه سيل هادئ يجري بتأنّ، كلماته تنساب طبيعيا دون تنميق ولا تكلف، يزيدنا رونقا وموسيقى فصاحته التلقائية غير المصطنعة.

وقد أهله هذا التعلّق بلغة الصّاد لانتخابه، سنة 1970، عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بترشيح من أستاذه بالمدرسة الصادقية الشيخ محمد

لا يختلف اثنان حول المكانة المرموقة التي حظي بها المنعم المبرور الأستاذ الشاذلي القليبي، رحمه الله، لا في تونس فقط ولكن أيضا في كامل أرجاء العالم العربي والإسلامي، بل في كل مكان مرّبه. فقد تميّز بغزارة العطاء وبالتوفيق والفلاح في جميع المناصب التي تقلّدها وفي جميع المهتمات التي أنيطت بعهدته: سواء كأستاذ مبرز للأدب واللغة العربيّة، أو كمدير عام للإذاعة التونسية، أو كوزير للشؤون الثقافية، أو كمدير للديوان الرئاسي، أو كأمين عام لجامعة الدول العربية أو كعضو عامل بمجمع اللغة العربية أو غير ذلك من المناصب التي تزخر بها سيرته الذاتية.

على أنّ ما يجلب الانتباه في حياة الراحل الكريم، أنّه زيادة على الرجل السياسي القدير، المتزن والمتواضع الذي أرسى بحق سياسة ثقافية وطنية، وزيادة على



وفعلا صادق المجمع على هذا الترشيح ودعي الأستاذ الشاذلي القليبي في فيفري 1971، للمشاركة في جلسات المجمع، وأقيم احتفال رسمي لاستقباله برئاسة الأستاذ زكي المهندس -نائب رئيس المجمع- في حين تولى الباحثة المغربي الأستاذ عبد الله كُنُون تقديم العضو الجديد. وخلال كلمته، التي استغرقت 45 دقيقة، نوّه الأستاذ الشاذلي القليبي بدور المجمع وعبر عن شعوره «بالاعتزاز بالانتساب إلى هذا المجمع الجليل الذي سجّل له التاريخ من الخدمات في الذود عن العربية وإبراز طاقاتها ما جعله بحق أولى المؤسسات الثقافية في العلم العربي». وبعد أن تحدث عمّن زكّي ترشحه - الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور - باعتباره كان «يمثّل الوفاء النير للقيم الروحية في أجلى مظاهرها، والذود عن مقومات تراثنا الثقافي والحضاري مع التفتّح الخصب لتيارات الفكر الحديث». كما تحدّث عن سلفه حسن حسني عبد الوهاب وحاضر بإسهاب عن الدور الذي ينبغي للعربية أن تقوم به حضاريا.

ولعلّ من أبرز مناقب الفقيه العزيز الأستاذ الشاذلي القليبي، أنّه كان المبادر سنة 1968 بإحداث «جائزة الرئيس الحبيب بورقيبة» للإنتاج الأدبي واقترح إسنادها للمرة الأولى لعلمين من أعلام الفكر التونسي: الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور والمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب. وألقى الأستاذ الشاذلي القليبي باعتباره كاتب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار خطابا بين يدي رئيس الجمهورية وبحضور المحتفي بهما وثلة من رجالات الفكر والثقافة والأدب، قال فيها، مستوحيا من مقولة أحمد شوقي «إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت»، إنّه يمكن أن نعبر أيضا على هذه الحكمة بالقول «إنّما الأمم الثقافة ما بقيت في ازدهار ومو».

هذا فيض من غيض أردناه تحية وفاء وإكبار لرجل من رجالات تونس الأبرار طبع مسيرتها الثقافية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ربطتنا به وشائج محبة واحترام أصلها ثابت وفرعها في السماء. تغمّده الله برحمته الواسعة وجازاه الجزاء الأوفى في مقعد صدق لدى عزيز مقتدر. ■

ر.ا.ع

Pour **2020**  
**Leaders**  
 a sélectionné pour vous



...A suivre

COUPON D'ACHAT

Auteur	Prix Unitaire	Quantité	Prix Total
Mansour Moalla	35 DT		
Ammar Mahjoubi	35 DT		
Mohamed-El Aziz Ben Achour	35 DT		
Riadh Zghal	20 DT		
Walid Bel Hadj Amor	25 DT		
Hédi Bèhi	25 DT		
Taoufik Habaieb	25 DT		

Nom et prénom ou Raison sociale : .....

Adresse de livraison : .....

Code postal

Tel

Livraison gratuite en Tunisie

En librairie

**Offrir & S'offrir**

Règlement par

Chèque bancaire  Virement

au nom de **PR Factory**

CBB : 08 008 000671001274071

Date et signature

Ennour Building, Cité des Sciences, BP 200  
 1082 Tunis Mahrajène, Tunisia  
 Tel +216 71 232 111 / Fax : +216 71 750 333

[www.leaders.com.tn](http://www.leaders.com.tn)

# الشاذلي القليبي

## خفايا وأسرار يكشفها لأول مرة

ليدرز العربية العدد 1 أكتوبر 2015

فكر ثاقب وذهن وقاد، ذاكرة دقيقة تحتفظ بخفايا وأسرار أكثر من نصف قرن، في بلاط الثقافة والسياسة والدبلوماسية، التونسية منها والعربية والدولية.

الأستاذ الشاذلي القليبي، مؤسس وزارة الثقافة والأمين العام لجامعة الدول العربية في أدق مراحلها، يبقى في عيده التسعين (6 سبتمبر 2015) ذات الشاب الطالب في السربون المتحفز لطلب العلم والمعرفة و رجل الدولة ذاته، الحكيم الصبور، والمثقف، المرهف الحسّ والشغوف دوماً بمتابعة ما يستجدّ في العالم وما يستحقّ الاهتمام.

كان يتأهب لدراسة الطبّ ولكن ميدان الثقافة والسياسة الذي غنمه لم يُبعده عن العلوم وإنما جعله يهتم بإنعاش الروح، وتوسيع مساحة الوعي في العقول، فكانت دور الشعب والثقافة والمكتبات العمومية القارة منها والمتجولة، وقوافل السنما في الأرياف ومهرجانات المسرح والسنما ودور النشر ومعارض الرسم والنحت والصور الفتوغرافية...

وكان لزاما على المثقف وهو يتسلم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن يتحول إلى طبيب يصغي إلى آلام ومعاناة شعوب ودول وقيادات، يللمم الجراح ويصف الدواء... ←

أجرى الحديث عبد الحفيظ الهرغام والتوفيق الحبيب  
صور خاصة ب: ليدرز العربية: أنس عبيد وأمال القلاقي  
ومجموعة شخصية.



## مسيرة في سطور

الشاذلي القليبي من مواليد 6 سبتمبر 1925 بمدينة تونس.

- تلقى تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية ثم التحق بباريس ليوصل دراساته العليا في الآداب والفلسفة بجامعة الصربون. وتحصل على الإجازة في اللغة والآداب العربية سنة 1947. وفاز في مناظرة التبريز سنة 1950.
- باشر التدريس بالمعاهد الثانوية وكلف بإلقاء دروس في معهد الدراسات العليا. وفي سنة 1957 تفرغ للتدريس الجامعي.
- في ماي 1958، عين مديرا عاما للإذاعة الوطنية.
- في عام 1961 أسندت اليه مهمة إنشاء وزارة الشؤون الثقافية وبقي مشرفا عليها حتى 1970 بالإضافة إلى اضطراره مرتين في تلك الفترة بمسؤولية الإعلام.
- أسندت اليه وزارة الثقافة من جديد في 1971 (حتى 1973) وفي 1976 (حتى 1978). كما شغل من 1974 إلى 1976 منصب مدير ديوان رئيس الجمهورية. وشغل منصب وزير الإعلام من سبتمبر 1978 إلى 28 جوان 1979 عندما انتخب أمينا عاما لجامعة الدول العربية.
- تولى رئاسة بلدية قرطاج لسنوات طويلة من (1963)
- شارك في تحرير معظم الصحف والمجلات الوطنية، ونشر العديد من المقالات السياسية والبحوث وألقى الكثير من المحاضرات الأدبية.
- عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ فيفري 1970.
- له مؤلفات مختلفة في الأدب والثقافة والسياسة نشرت باللغتين العربية والفرنسية.
- يحمل الصنف الأكبر من وسامي الجمهورية والاستقلال وعددا كبيرا من الأوسمة الأجنبية.
- متزوج وأب لثلاثة أبناء.



لم تنتقل في الواقع جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس بوثائقها وملفاتها وإنما عهد بمقاليدها إلى الأستاذ الشاذلي القليبي الذي أعاد تأسيسها على ركائز متينة ووفق أنظمة فاعلة. وجمع حوله فريقا من أبرز النخب والكفاءات العربية من ضمنها الأسعد الأسعد، وعدنان عمران وعبد المحسن زلزلة ولخضر ابراهيمي وكلويس مقصود، إلى جانب المنجي الفقيه والمنصف الماي ومحمد المغربي وأحمد الهرقام، ومحمود المعموري والبشير فربوج ونبهية النيفر ومأمون العباسي وحمادي الصيد وآخرين من الكفاءات العالية.

حمل هموم الأمة العربية على كتفيه بصر وأناة، وتحمل عنجهية عدد من الحكام، وواجه صلف بعض القوى العظمى وأطماعها، ولكنه بقي المثقف والمفكر الذي يأخذ الأشياء بالعقل ويعمل النظر فيها بالحكمة ويكتم في نفسه المشاعر والأحاسيس، مفعما بالثقة بالله ومتوكلا عليه.

تكوينه الصادقي ودراسته للفلسفة خاصة في الصربون والسنوات التي ناهزت العشرين التي قضها في جوار الرئيس بورقيبة، مديرا للإذاعة فوزيرا للثقافة والإعلام فمدير ديوانه الرئاسي، رسخت في نفسه قيم العقل والحكمة ولقنته أصول السياسة، و لعل أول درس خرج به هو تجنب الأضواء، وكتم الأسرار وعدم الخوض في المعارك.

قلما فتح الأستاذ الشاذلي القليبي محفظة اسراره وقبل طلب «ليدرز العربية» بإجراء هذا الحديث، لم نتوقع منه الإجابة عن كل أسئلتنا، ولئن بقي على عهده منتبها لكل التفاصيل، تفاديا لسوء فهم أو تأويل، فعندما تصغي إليه فإنك تغتم شهادة تاريخية نادرة، من مصدرها الأول، وتحظى بعمق التحليل ودقة المعلومات وانتقاء المفردات، يستحضر في أجوبته درر القرآن والحديث وكلام الأولين من الفلاسفة والعلماء والأدباء وسير المحدثين ومواقف السياسيين...

خفايا وأسرار يكشفها لأول مرة في هذا الحوار. **أ. خ.**

BH ASSURANCE

**wininti**  
by BH ASSURANCE

**تقضى شورك**  
**l'application**  
إلي تعمل بيها كل شين وبن ما تكون

[www.bh-assurance.com](http://www.bh-assurance.com)

#Besafe #StayAtHome

بدأنا الحديث مع الأستاذ الشاذلي القليبي بالتساؤل عن أسباب انحسار مكارم الإسلام والقيم. وتفشي المغالاة في التدين. ثم انتقل الحوار إلى إيران واستعادة دورها. وأسباب الفرقة التي تضرب الوحدة العربية.

ثم عدنا إلى مطلع شبابه لنسأله عن دراسته وأسباب انعطافه نحو اللغة والأدب العربية ثم كيف وضع أول رجل في ركاب السياسة والدولة وأصبح مديراً عاماً للإذاعة في عبور نحو الوزارة والديوان الرئاسي. ثم جامعة الدول العربية. فكانت الغازا يفكها لأول مرة. ولم تترك الأستاذ الشاذلي القليبي قبل أن يخضنا بذكريات انطبعت في ذهنه عن عدد من الملوك والرؤساء العرب وغيرهم بدءاً من الملك فيصل إلى الرئيس جمال عبد الناصر والعقيد معمر القذافي والرئيس حافظ الأسد و«القائد» صدام حسين وغيرهم...

فجاءت أجوبته لتلقي الأضواء ولأول مرة على جوانب خفية، وتبوح بأسرار تاريخية.

### الوحدة العربية

سبب الفرقة في الصف العربي هو أن دولنا أعمدت فقط العوامل السياسية في علاقاتها البيئية وهي تفرقت وقلما تقرب بين الدول. ما يمكن أن يعتمد تركيزه هو العمل الحضاري واحياء الأركان المغمورة لحضارتنا حتى لا تكون مضطرة إلى الإقتباس، لأن الإقتباس، قل أو كثير، لا بد أن يدخل علينا الارتباك. ونحن إذا ما عدنا إلى التأمل في أصول حضارتنا العربية الإسلامية، نكتشف أنها لا تناقض الحدائة في شيء جوهري. من ذلك مثلا واجب إعمال العقل، والإجتهاد، وهو الذي يؤسس للتعددية، ويحض على إيجاد صيغ تطبيق مبادئ الشورى وتطويرها بحسب مرور الزمان وتغير الأوضاع. وأيضا واجب التضامن، داخل كل شعب وبين الشعوب الإسلامية. والتضامن يكون أيضا من خلال الثقافة والتعليم والبحث العلمي والتجارة والإقتصاد.

فالعوامل السياسية التي اقتضرت عليها دولنا هي مهمة لا محالة، بينما تبقى العوامل الحضارية هي الأسس.

والوحدة ليست وحدة زعامة سياسية وإنما هي وحدة العمل الميداني والفعلية ووحدة الوسائل والقدرات.

### الإسلام حضارة وليس عبادة فقط

لقد نهى الإسلام عن الغلو في العبادات والتخلي عن المكارم وجاء الدين الإسلامي الحنيف موصيا باعتبار الحياة الدنيوية كأنها باقية أبدا، فيما أن الغيب كأنه سيحل غدا وبذلك نقيم التوازن بين الحضارة والعبادة. لقد نسينا التراث الأصيل وانحصرنا في الغلو في العبادات التي لا تكفي وحدها وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «جئت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن عوامل تفوق الإسلام على اليهودية والمسيحية أنه أسس لحضارة جديدة. وقد سجل المؤرخون بأنه في ظرف وجيز أنشأ الإسلام حضارة عجيبة انتمت إليها شعوب كثيرة وفي مقدمتها الشعب الفارسي الذي ساهم مساهمة عظيمة في إنشاء ثقافة عربية إسلامية.

### إيران

وذلك يفرض علينا واجبا في هذا الظرف بأن نساعد على التقارب بين دولنا العربية وإيران.



# هؤلاء عرفتهم

## الملك فيصل بن عبد العزيز

لم أقبله شخصياً على انفراد عندما جاء إلى تونس في زيارة رسمية إذ حضرت بعض المقابلات، واستمعت إليه في خطابه أمام مجلس الأمة آنذاك. ولكنني حظيت بمقابلته في المملكة العربية السعودية إذ استقبلني في جدة بعد زيارته لتونس بأشهر.

بدأت الحديث معه إذك بالقول: «إنكم حققتُم يا جلالة الملك انجازا عظيما ألا وهو انشاء أول مدرسة لتعليم البنات. ولو حصل ذلك في بلد آخر في المنطقة لسلطت عليه الأضواء». فكان جوابه حكيمًا: «بارك الله فيك لأنك أتحت لي الفرصة للحديث عن أمر هام. ذلك أنني لو أحطت الأمر بدعابة كبيرة لكان في ذلك استفزاز لمعارض المشروع وإعطاء الفرصة للتصدي له».

فتلك عينة من حكمته، إذ كانت لجلالته دوما استراتيجية في أعماله وقراراته. وكان مفكراً. وقد ورث عنه ابنه سمو الأمير سعود الفيصل هذه الخصال، وكان من أكثر وزراء الخارجية العرب تألقاً، لا وسامة فقط، وإنما أيضا رجاحة عقل وفصاحة لسان.



## حافظ الأسد

لم أر، بدون منازع، شخصية رسمية في مستواه، من حيث شمولية نظره لتاريخ الأمة، لأنه يعرفه بدقة ويتابع ما ينشر عن الحضارة العربية، ويعتبر أن العرب لن تقوم لهم قائمة إذا لم تجتمع كلمتهم وتتوحد جهودهم. كنت أجلس معه لساعات طوال تمتد إلى ساعتين أو ثلاثة، وآخر لقاء دام أربع ساعات، ولا أمل حديثه.



## الملك حسين والملك الحسن الثاني

لهما مستوى عال - الملك حسين بثقافته الانجليزية والملك الحسن الثاني، بثقافته الفرنسية. كنا نتحدث بعمق ونحلل القضايا بامعان وكنا على اتفاق في الرؤى والمواقف.

الملك الحسن الثاني، زار تونس وهو ولي عهد لوالده محمد الخامس. وكنت آنذاك وزيرا للثقافة، فكلفني الرئيس بورقيبة مرافقته. فقضيت رفقته ثلاثة أيام تعرّفت خلالها على ملامح شخصيته. وكان قد فاجأني وهو يزور جامع الزيتونة المعمور، عندما استقبله فضيلة الشيخ الفاضل ابن عاشور بحفاوته الفائقة وإلقائه لكلمة ترحيبية بفصاحته المعهودة. ظننت أن الأمير الشاب سيكتفي بكلمات بروتوكولية مقتضبة، ولكننا فوجئنا به خطيباً مفوهاً. ومنذ ذلك الوقت نشأت بيننا علاقة قوية.



ولما رشحت لمنصب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، أوفد الرئيس بورقيبة الأستاذ فؤاد المبرّع إلى المغرب لطلب تأييد الملك الحسن الثاني، فجاء جوابه مؤثراً: «هذا ليس مرشحكم وحدكم، هو مرشح المغرب أيضاً».



## جمال عبد الناصر



الخلاف بينه وبين بورقيبة مسكوت عنه لفترة طويلة، وكان بورقيبة مستاء من خطاب عبد الناصر، التي يخاطب فيها الشعوب العربية من فوق رؤوس قادتها. ولما استجاب لدعوته لزيارة مصر، حرص عبد الناصر على إحاطته بكل مظاهر الحفاوة، لاسترضائه وجلبه إلى صفه. ولقد كان لهما بهذه المناسبة لقاء مغلق لم أحضره ولكن بورقيبة روى لي في ما بعد تفاصيله.

- بورقيبة: إسرائيل تستمد قوتها ليس فقط من شعبيها ولكن من كل العالم، أوروبا وأمريكا وحتى الإتحاد السوفييتي الذي صوت لفائدتها فكيف يمكن أن نتغلب عليها. من الضروري أن نجد طريقة أخرى.

- عبد الناصر: هذا صحيح ولكن من يقدر على مصارحة شعوبنا بهذه الحقائق، فهي لن تفهم هذا الرأي.

- بورقيبة: إذا أكدت لي بأنك لن تفتح علي أبواب الإعلام المصري، فإنني على استعداد للإصداغ بهذه الحقائق.

وعندها تبسم عبد الناصر ولم يردّ لا بالإيجاب ولا بالنفي.

وبعد المواجهة جاء السفير التونسي السيد محمد بدره ليسرّ إليه بأن عبد الناصر يدعو لقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا الفيدرالية بسبب مسانقتها لإسرائيل. فاستغرب بورقيبة الأمر وأجابته: «طيلة ثلاثة أيام كنت معه ولم يذكر لي الموضوع. كان يمكن أن نتناقش في الأمر ونجد حلاً، هل يحسبني واليا عنده حتى أتلقى منه الأوامر. إجابتي له هي لا!».

طبعا الأذان السامعة التقطت هذا الحديث، ونقلته إلى عبد الناصر مباشرة ومن وقتها تعكرت الأجواء.

ويواصل بورقيبة ما رواه لي: انتقلت إلى الأردن والتقيت في أريحا بالفلسطينيين الذين خصوني بحفاوة كبيرة مؤكداً لي ثقتهم في وقائلي لي بالحرف الواحد «أنت القادر على إيجاد الحل»، فتأثرت كثيراً وصارحتهم بفكرتي. عبد الناصر اغتنم هذه الفرصة وأطلق العنان لأبواق الدعاية ضدّي وحصل ما حصل.

## صدام حسين

لا أجيبكم مباشرة ولكنني سأنقل إليكم رأي بورقيبة وأنا أشاطره في ذلك.

صدام حسين وآخرون ليس لهم تكوين ثقافي وفكري. والسياسة بدونها لا تنفع. إذن لا يمكن لمن يأتي فقط من صف الكفاح الوطني، أو حزب عقائدي، قيادة الأمة واستشراف المستقبل.

صدام حسين ارتكب أخطاء قاتلة. أولها دخوله في حرب مع إيران التي كانت في أوج ثورتها، والكل يعلم أنه لا تشن الحروب ضد الثورات. هذه الحرب دامت ثماني سنوات ولم تخرج منها العراق إلا بإعانة الدول العربية وخاصة منها الكويت ودعمها. فكيف كافأ صدام الكويت؟ باجتياح بلاد الشيخ جابر أمير البلاد والشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية اللذين كانا من أكبر المدافعين عنه في حربه ضد إيران فوجدا نفسيهما أول ضحاياه.

لم يدرك صدام أن الكويت لا يمكن مسه بسوء ولا يمكن للعالم والدول الكبرى أن تقف مكتوفة الأيدي أمام اجتياحه.



# كيف أصبحت مديراً للإذاعة



كنت قد شرعت بعد عودتي من باريس في التدريس بدار المعلمين العليا، ودعاني ذات يوم الأستاذ لامين الشابي وزير المعارف ليُعلِّمني بالانعقاد مؤتمر هام في بيروت حول قضايا سوسيولوجية تهتمّ البلاد العربية قائلا لي إنه يودّ تعييني لتمثيل تونس في هذه التظاهرة. وفعلاً ذهبت إلى بيروت وشاركت في المؤتمر وعند انتهاء الأشغال ووددت الذهاب إلى دمشق، لأنني كنت تعرّفت وأنا طالب في باريس على عديد الأصدقاء السوريين الذين كثيراً ما حدّثوني عن الثورة السورية وزعيمهم الفكري ميشال عفلق، وأحببت أن أتعرّف على

البلد وقيادته عن كثب. وعند وصولي إلى دمشق رحّب بي الأستاذ يوسف الرويسي ودعاني على العشاء وكانت فرصة للقاء ميشال عفلق، كان الحديث شيقاً وكنت منتبها لما يدور من تحاليل وتعليق وفجأة توجه إلي ميشال عفلق سائلاً: «ماذا تقول لنا عن الخائن بورقيبة؟» ولما كنت أتهماً للقول أخذ الكلمة محمد صديق شنشل من العراق وانبرى يقول: «تقول عن بورقيبة خائن، فماذا تقول عن النوري السعيد؟». فانعطف الحديث للخوض في العراق والنوري السعيد. وعندما عدت إلى تونس رويت الواقعة بكل تفاصيلها ويبدو أنّ ذلك لفت انتباه بورقيبة فدعاني لمقابلته.

وبعد مدة دعاني لتكليفني بإدارة الإذاعة التونسية. فأجبتته شاكرًا لثقته ولكنني اعتذرت عن قبول هذا التكليف لإنغماسي في اعداد أطروحة الدكتوراه. فاستبعد بورقيبة اعتذاري قائلاً: «لا! لازم تخدم بلادك!» مضيفاً لاعتقدي أنني أسمعها منه أول مرة: «الأهم قبل المهم، المطلوب منك أن تمسك بزمام الإذاعة وتنظمها لتتولى الدفاع عن تونس ومواجهة الأبواق المفتوحة ضدها. وإني أكلفك بهذه المهمة». لما تسلّمت مهامّي على رأس الإذاعة التونسية لم أجد فيها آنذاك سوى بعض المذيعين وشائين دون مهمة محدّدة، هما التيجاني زليّة ومصطفى الفارسي، فكلّفت الأوّل بإدارة البرامج والثاني بالعلاقات الخارجية والتعاون الدولي.

واستعنت في مهامّي بالسيد حمادي النيفر الذي عرفني بالوسط الفني وفي المقدمّة صالح المهدي وبدأنا في تكوين مناخ فني وثقافي واحداث لجنة متابعة اللغة العربية. 

## معمر القذافي



أول لقائي بمعمر القذافي كان في بداية ثورة الفاتح، كنت وقتها في زيارة ليبيا وأنا وزير للثقافة. ودعاني زميلي لمقابلة العقيد. خرجنا بالسيارة من العاصمة إلى أن وصلنا إلى ربوة نصبت فوقها خيمة كبيرة حيث كان ينتظرننا. كان آنذاك شاباً، وخصني باستقبال حارّ. وبادرني بقوله «إني أعرفك إذ كنت استمع إلى خطبك في الإذاعة التونسية، معجباً بما تقوله. ثمّ قابلته وأنا أمين عام لجامعة الدول العربية فوجدت أن الرجل قد تغرّ: الشاب الذي لم يكن واثقاً من نفسه و متمكناً من الأمور أصبح على عنجهية وخيلاء.

آخر لقاء لي به كان بعد تحرير الكويت في اجتماع، على هامش القمة العربية في القاهرة، ضمّ عدداً من الرؤساء العرب وتحدّث العديدون ولكنّ القذافي اكتفى بالصمت إلى أن رفع الرئيس حسني مبارك الجلسة.


وبينما كنت أغادر القاعة وجدت القذافي ينتظري في خارجها ليقول لي أمام الملأ: «لماذا لم تعطني الكلمة لقد طلبتها منك وبقيت انتظر». طبعاً فهمت مقصده ولكنني انصرفت إلى غرفتي. وبعد مدة قليلة جاء وفد من وزرائه يطلب مقابلتي قائلاً: نطلب الاعتذار لأنّ العقيد كان منفعلاً ولم يقصد الإساءة إليك. طبعاً فهمت أنّ القمة كانت سائرة إلى تقسيم الصف العربي بين مؤيد لموقف مصر ومعارض، وفوجئت بأنّ حتّى الرئيس السوري حافظ الأسد قد ساند مصر وكأنه دفع بذلك ثمن النجاة من ردة فعل الولايات المتحدة. إذ قد يكون حصل على معلومات مفادها أنّ الرئيس بوش يتأهب للهجوم على سوريا...

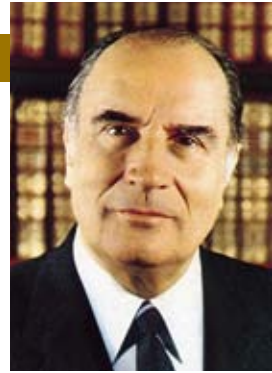
بعد استقالتي من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تلقيت عديد الدعوات من مختلف الجهات لزيارة ليبيا ولكنني اعتذرت عن تلبيةها.

## فرانسوا ميتران وهلموت شميدت

من بين الرؤساء والملوك غير العرب والمسلمين، اعتقد انهما كانا من ألمع من عرفت.

الرئيس فرنسوا ميتران هو من صنف رفيع وراق. رجل سياسة بإمتياز، تمرّس عليها وكان يحظى بزاد ثقافي غزير وينظر إلى المستقبل بعزم.

أما رئيس الحكومة الألمانية هلموت شميدت فلقد قابلته في مدينة هامبورغ إذ استقبلني في بيته وقال لي آنذاك، وهو ما أكشفه اليوم إلى «ليدرز العربية» لأوّل مرة «إذا ضمن العرب تزويدنا بالبترول بصفة منتظمة دون انقطاع، فإنّه بإمكانهم الإعتماد علينا». ويعني ذلك الحصول على مساندة ألمانيا. 



## طارق عزيز

كان على مستوى عال، ومفكراً قادراً على إيجاد الحلول وعندما يطلب الكلمة كنت متأكداً بأن كلامه سيكون مقبولاً. كثيراً ما كنت أتحدث إليه وكنا نتكلم كلاماً مشفراً أحياناً، وأعرف أنه كان يوافقني في موافقي، ولكنه كان يدرك جيداً أنه لو خرج عن ولائه لصدّام فإنه سيقتل حتماً. كما كان يخشى على مصير المسيحيين في العراق.



## يوسف بن علوي

أحمل عنه ذكريات طيبة جداً لكفاءته العالية واقتداره، وكان من الثائرين ضد السلطان قابوس الذي استجلبه وعرف كيف يستدرجه للعمل إلى جانبه، وهو باق إلى الآن في منصبه منذ حوالي 18 عاماً.



## كنت سأخرج طبيباً

تعلقت همّتي أنا وصديقي محمود بالناصر بدراسة الطب، وفعلاً سافرنا إلى فرنسا يوم غرة أكتوبر 1945 على ظهر باخرة اسمها Chanzy وكان معنا أيضاً الأمين بلاغة وعبد العزيز بن حسن. وبينما كنت أتأهب للتسجيل في كلية الطب وصلني رسالة من والدي يقول لي فيها: «لقد زارنا في المنزل الأستاذ محمود المسعدي (وكان من أساتذتي في الصادقية) وسلمني هذه الرسالة التي لم أفتحها وأبعث بها إليك طيّه».

ويقول لي فيها سي محمود: «إذا كنت تعتقد أنّ الطبّ الذي تتوجّه لدراسته يخدم البلاد فإنك مخطئ». لم يدخل فيها أكثر في التفاصيل. فهمت قصده. ومن الغد ذهبت إلى الصربون وسجّلت في قسم اللغة والآداب.

وانخرطت في الدراسة وواظبت على حضور عديد المحاضرات وحرصت على نيل شهادات في علم النفس والسوسولوجيا والأخلاق والفلسفة العامّة ولم اكنف بحضور دروس ريجيس بلاشير Régis Blachère وليفي بروفانسال Lévi-Provençal وانما تابعت أيضاً محاضرات قيمة في الكوليج دي فرانس Collège de France. التعليم العربي في الصربون كان متّجهاً في الأصل للشباب الفرنسي وهادفاً بالخصوص إلى تكوين مستشرقين، لذلك كان المدرسون يولون عنايتهم للطلبة الفرنسيين ويحرصون على تلقينهم أصول علم النحو والصرف ومنهاج البحث التاريخي، أما الطالب العربي فلم يكن يحظى بأيّ توجيه.

## الأستاذ محمود المسعدي

علاقتي بالأستاذ محمود المسعدي تعود إلى تولّيه التدريس بالصادقية. كان رجلاً صارماً، لا يتحدث إلينا إلا باللغة الفصحى. مع انطلاق دروسه، أعطانا موضوعاً لتحرير إنشاء وعندما أعاد إلينا أوراقنا بعد اصلاحها، بدأ بالقول «هناك تلميذ من بينكم سيكون له شأن» وكنت أنا صاحب الحظ السعيد إذ استجبني من ذلك اليوم وأصبح يحرص على أن أجلس في الصفّ الأمامي، ويتابع دراستي باهتمام. وقد كان الأستاذ محمود المسعدي الوحيد من بين كل المدرسين الذي يدعوني لبيتته ويستقبيني للغداء أو العشاء على مائدته ومن ذلك الوقت توطدت العلاقة بيننا ولم تنقطع. ■



# عجيل في خدمة تونس





# هل كان المجتمع وفيًا لبورقيبة؟

ليدرز العربية العدد 23 نوفمبر 2017

**قلّ** من الزعماء، من شعر، منذ شبابه، بأنه مدعو إلى شأن عظيم، مثل ما كان الحبيب بورقيبة مؤمنا، منذ أول تيقظ فكره، بأن ستكون له رسالة عالية في المجتمع. وقد كان دوما مؤمنا، في قرارة نفسه، بأن الدهر قلّ أن «يجود» بمثله : بذلك كان يتحدث إلى خاصة جلسائه، بين ضحك وجدّ - وأغلبهم ما كانوا، في خويصة أنفسهم، بعيدين عن مُشاطرته الرأي. وممّا اختصّ به الزعيم - دون سائر البارزين من أعضاده في الحزب - أن أغلب مُناصره كانوا مفتونين بمحبّته. ولا شك أن الولاء، عند اقترانه

إنّ الجهود، التي بذلتها ثلّة من رجالات الثقافة، بعد الاستقلال، لإنضاج ملامح رئيسيّة من المجتمع، إنما تمكّنوا من الفوز برهاناتهم فيها، بفضل قيادة المجاهد الأكبر : من خلال ما أفسح لهم من مجالات، وما بثه، من حولهم، من تطلعات، وما أسس، في المجتمع، من فهم واسع للانتماء الحضاري، وما ثبته، في الأذهان، من اقتناع بأنّ حسن التنظيم وبقاوة التصرف هما عماد المجتمع المتحضّر، وأنّ ذلك لا يتمّ إلا بمساعدة دولة عتيّدة، رجالها مجتهدون، وشبابها على يقين من انتمائهم اللغوي والثقافي والحضاري

أُنْعَبِي هو محي الدين»، لأنه مثلي كان يؤمن بالاتصال المباشر؛ فحيثما ذهب، وجدته قد سبقني، وأوان زيارته كانت مُنتظرة بعد أيام. وفي حين كاد «محي الدين» - كما شاعت تسميته - أن يكون الوحيد المتحرك باسم اللجنة التنفيذية، فقد كان «الديوان السياسي» بجُلّ أعضائه ومُناضليه، في اجتماعات متوالية، في المُدن والأرياف، وبحضور جماهيري مُكثف؛ وكان أتباعه من الشبان، في نشاط دائم، داخل المدارس، وحيثما كان يتسنى لهم اللقاء. أما اللجنة التنفيذية، فكانت رئاستها ترى أنّ السياسة شيء من الجَدِّ، ليس للشبان - ولا للجماهير الشعبيّة - فيه مجال.

وعندي أنّ الاجتماع، الذي أشرف عليه زعيم الشباب علاّلة البلهوان، في أوائل أبريل 1938، أمام «الإقامة العامّة» مركز السلطة الفرنسيّة، والخطاب الذي ألقاه، في الحشود الجماهيريّة، بإيقاع فقراته المثيرة للحماس، والتي حفظ مناضلون منها الكثير، إنّما ذاك الاجتماع - متبوعاً بوقائع 9 أبريل التي انتفضت في الذكرى الوطنيّة - كان المنعرج الذي جعلّ الديوان السياسي يتصدّر اهتمامات الأوساط الشعبيّة، من شمال البلاد إلى جنوبها. فقد كان «الحزب الجديد» قويّ الحضور في المجتمع، بواسطة صحافته، وبما كان يعقد من اجتماعات في الساحات العموميّة، وبما وكان يتعرّض له أتباعه، من اضطهاد وسجن ونفي.

ومن أهمّ عوامل القوّة، لدى الحزب الجديد، أنّ قاداته كانوا تابعوا التنظيمات الحزبيّة، بفرنسا، في عهد دراستهم؛ فأخذوا منها ما يتلاءم مع الأجواء التونسيّة. وكان، أيضاً، من أمضى وسائلهم الدعائيّة، السخريّة: فقد أطلقوا على خصومهم اسم «الغرانطة» - وبالفرنسيّة «les archeo» - وقُلّ من كان يعرف أنّها مأخوذة من اسم النهج الذي به نادي «الحزب القديم»: نهج «غرنوطة». ولكن جرس كلمة «غرنوطي» كان له وقع في الجماهير يُوحى بعيب خفيّ. ولا

وقصارى القول، فإنّ خصال بورقيبية الذاتية، وهي كثيرة وعظيمة، إلى جانب الظروف التاريخيّة الملحمة التي حقّت بقيادته - وبعضها خطّط له هو، بأسلوب مسرحي - جعلته، في نظر «شعبه»، «رغم الداء والأعداء»، شخصيّة أسطوريّة؛ ونهايته الحزينة آلت به إلى مصير أبطال المأساة اليونانيّة: بما شاء له القدر من انكسار، ووفاة في شبه المنفى - ولا أشك أنّ انفصال وسيلة بن عمّار عنه كان له تأثير عميق في التعجيل بجملة الأحداث التي أفضت إلى 7 نوفمبر. وقد أبدع الأديب، ورجُل المسرح البار، رجا فرحات، في تقمّص شخصيّة الرئيس، بنبرات تتضوّع منها مشاعر التقدير والودّ - رغم أنّه يحقّ أن يكون له، عليه، مأخذ شخصيّة لكنّها ما أفسدت، عنده، للإبداع الفنيّ، من قضيّة.

وهلّ للذين كانوا في أوّل شبابهم عند طلوع نجم بورقيبية، أن ينسوا ما كان عليه الزعيم من وهج الهيبة، بالحضور، وبالكلّمة النافذة، وبالنظرات الثاقبة؛ وأيضاً ما كان من تأثير، في الرأي العام الوطني، لأعضاده - ممّن يدخلون في قامات «الزعماء»، مثل المنجي سليم وعلاّلة البلهوان - ومن سائر المناضلين، وفي مقدّمتهم الشابّ المُتقدّحاً حماساً عزّوز الرباعي، ثمّ زوجته المناضلة الفدّة أسماء بلخوجة: فقد كان لهما أفضل على الشباب الوطني، بوقايتهم من الانخراط في الحزب الشيوعي - الداعم لمبدأ الحماية الفرنسيّة، والهادف إلى طمس أسس الوطنيّة لدى الأجيال الصاعدة، واستبدالها بالنضال الاجتماعيّ. ذلك أنّ الحزب المؤسّس للحركة الدستوريّة، برئاسة عبدالعزيز الثعالبي،

ا وبعضوية وجوه من المجتمع، سرعان ما غلب عليه الخمول، إلّا ما كان لمديره، محي الدين القليبي، من حراك دائم، في كلّ مجال: للاتّصال بالصحافة التونسيّة، ومراسلي الصحف الأجنبيّة، وللإلتحاق بوفود الشّعب، ولو في منزله، بالمرسى، ولعقد الاجتماعات في مختلف أنحاء البلاد. وقد كان بورقيبية يقول لي: «الذي

بصادق المشاعر، يجعل العين كليله عن النقائص، واللسان عبيّاً عن الجهر بالانتقاد. وإنّما انطلقت الألسن، عند بلوغ بورقيبية من العمر عتياً: لكن من طرف أفراد، عددهم أقلّ من أصابع اليد، ولم يكن لهم الصدى الذي كانوا يرجونه، في المجتمع السياسي: أقصد أحمد التليبي، في رسالته النقديّة التي بعث بها، لكن من الخارج؛ وأحمد المستيري، بتأسيسه لحركة منشقة عن «الحزب»، وما صدع به، في ظروف مختلفة، من معان كانت جيّاشة في قلوب الكثيرين، رغم أنّهم من محبّي بورقيبية.

والحقّ أنّ هيبة رئيس الحزب - مع تأجّج ذكريات نضاله الوطني في النفوس - لم تكن لتيسّر نجاح أيّ انشقاق. وكنت أقول لـ «سي أحمد» - قبل إعلان حزبه - إنّ العمل الإصلاحي، من داخل الحزب، قد يكون أنجع.

فخُرجه، من الحزب ومن الحكومة، حرّمهما ممّا كان له من خصال، قد تجعله من أفذاذ رجال الدولة: إضافة إلى ما سبق لتونس من حرمان، بسبب تغييب رجُل الحزم والذكاء، أحمد بن صالح؛ وما كان سبق أيضاً للدولة والحزب من خسارة، بوفاة الطيّب المهيري - الذي خلف فراغاً لا تُقدّر انعكاساته على التوازنات الداخليّة، في الحزب وفي الحكومة - ثمّ لِمَا كان له من كثرة الأنصار، في العاصمة وداخل البلاد؛ ولما كان له، عند رئيس الدولة نفسه، من كلمة لا تُردّ - كانت ربّما تُردّد، عن البلاد، محنة المعالجة الصاخبة لـ «قضيّة التعاضد»، بالشكل الذي اندفع إليه الزعيم.

وما أسرّ به إليّ الهادي نويرة، أثناء قضيّة التعاضد، كان يمكن أن يلقي تأييداً حازماً، لدى الطيّب المهيري. فقد كان أسرّ إليّ، في خضمّ تلك «المعتمّة»، بأنّ الأسلوب الذي توخّاه الرئيس، في إبطال التجربة التعاضديّة، سيكون له وخيم العواقب على البلاد، إذ سوف يُعرّض أعضاء الحكومة ومجموع الولاء، للإستنفاص، وللتهم الواهية.



فكم تَمَيَّتُ - وأنا أنظرُ إلى صورة مُصطفى كمال، وراء الرئيس التركي، في مكتبه الرئاسي - أن يُقْتَدَى، في تونس، بهذا المثال الرائع في ربط الأجيال، والاعتراف بالجميل لمن سبق: فتُجْعَلُ، في الأماكن الرسمية للدولة، صورة المجاهد الأكبر: قائدا ثابتا في الذاكرة الجماعية، لأنه هو الذي حرّر البلاد، وبنى الدولة العصرية، ووجهها إلى الحداثة، في كنف الاستجابة لفروض الحضارة العربية الإسلامية.

نستثني ما هُيئ - منذ قليل - من اختيار صورة مُشرقة للمجاهد الأكبر، وهو في عزّ جهاده، وجعلها بالبهو الداخلي لقصر قرطاج: فتظهر، على يمين الضيف، عند إلقاء تصريحه، قبل المغادرة. ولا غرو في ذلك، إذ الأخ الباجي كان من أقرب أفراد جيلنا إلى الرئيس بورقيبة. ش.ق.

به الوزير أحمد بن صالح، والخسارة الكبرى التي مُنبت بها الدولة، بإقالاته ومُحاكمته، ثم مُنتهى القسوة بمتابعته في منفاه؛ وكل ذلك لثُهم ألصقت به، ولم يكن ضالعا فيها بأيّ وجه - وإمّا كان ذلك لها أحرز، بفصاحة لسانه وعظيم جرّأته، من شهرة جعلته يَستأثر بالأضواء، فيُثير مشاعر الحسد.

ومن جهة أخرى - ولكن ذلك، لاشكّ، من ذيول هذا الاضطهاد - هل يُمكن أن نجد سبباً مُفنعاً لما يعامل به اسم أحمد بن صالح، من نسيان ومن تجاهل، إلى اليوم، لدى المنظمة النقابية: رغم أنه كان على رأس الاتحاد، في حقبة من أصعب ما شهدته المنظمة، وأنه كانت لدوره إيجابيات هامة ومُتنوعة. لكن ما تحمّله أشخاص، من صميم، لا ينبغي أن ينسينا ما أنجز لفائدة البلاد، ممّا يفرض علينا جميعا واجب الولاء

غرو أن يكون عزّوز الرباعي هو مُروّج هذه التسمية، لما عُرف به من طول اللسان، ولذاع التهكّم، وجرأة المواقف. على أنّ «الغرانة» كانت لهم، هم أيضا، أساليبهم في السخرية من «بورقيبة»؛ وأشاعوا عنه أنه «مجنون»؛ ورؤوا عنه حكايات كان لها تأثير، حتى داخل صفوف الحزب الجديد، إذ سمعتُ من يقول، أثناء الخصومة مع بن يوسف، إنّ بورقيبة «مجنون»، وليس من الحكمة تأييده - قالها أمامي من سيتولى، في عهد «المجنون»، مناصب عالية. هذا الرجل العظيم، بورقيبة، بلغ فينا أرذل العمر: فلم نرّد له بعض ما كان له علينا، ممّا لا يُنسى. ولو فعلنا، لكنّا بذلك فُمنّا، فقط، ببعض الواجب.

واليوم، ونحن بصدد تقييم الأمور، فإنّ الاعتزاز بما أنجز في العهد البورقيبي لا ينبغي أن يحجب عنّا ما اقتُرف، ممّا ليس من الأخلاق الوطنية، في شيء. فليس لأحد أن يُنكر، على الذين تأدّوا في العهد البورقيبي، أن يستبدّ بهم الحقد، إلى اليوم، فيطمس، في نظرهم، ما كان يحقّ، وطنياً، الاعتزاز بإنجازه: وأن يعفوا، فهو أدنى إلى ما يريدون من لم شتات الشعب، ومن ترسيخ لقيم أخلاقية، ولِمبادئ سياسية يُدافعون عنها.

والمثل الجميل في ذلك - مع صديقنا رجا فرحات - المرحوم نورالدين بن خضر: فقد اجتمعتُ به في آخر حياته، لما روي لي بعض ما قاساه في السجن؛ فلم يحدثني عن شيء من ذلك؛ وإمّا اقتصر على عموميات، دون تعبير عن حقد ولا ضغينة. ولئن كانت حِقبة بناء الاستقلال مرحلة استثنائية، بكلّ المقاييس، فلا يُمكن أن نُغضّ الاهتمام عن أعمال نُسيء إلى ما لبورقيبة علينا من واجب الاحترام والمحبة: منها ما عومل به الأمين باي وعائلته، بعد عزله، والطاهر بن عمار وزوجته، وصالح بن يوسف ومسؤولية اغتياله - رغم أنه كان، هو نفسه، أوصى بعض أتباعه بما لا يليق بأخلاق الزعامة. وهل يُمكن أيضا أن ننسى ما عومل

الطيب المهيري (1924 - 1965)

## كانت كلمته لا تردُّ عند بورقيبة

ليدرز العربية العدد 25 جانفي 2018

**ما** كان له من نشاط، وسليقة التعامل الإيجابي مع الغير، اكتسب، لدى المناضلين، نفوذا أدبيا ما فتىء يتعاضم، حتى جعله في عداد الزعماء، وهو لا يزال في عنفوان الشباب.

وأُسندت إليه وزارة الداخلية، في ظرف صعب مع المقاومين، فاستطاع أن يفرض هيبة الدولة وكلمة الحزب.

ومما اشتهر به، طيلة عمله في الحزب وفي الحكومة، متابعة أهم القضايا، في الداخل وفي العلاقات الخارجية؛ وكانت له، عند تدخله في مناقشتها، كلمة لا تُردُّ، عند المجاهد الأكبر.

وعندي أنه، لو كان حيًا، عند تأزم الأجواء تجاه النظام التعاضدي، لاستطاع أن يفرض ما به تجاوز الصعوبات الطارئة، فيقي البلاد الوقوع في الزوبعة التي زعزت أمورًا كثيرة.

وفي ذاكرتي دوما ما قاله لزوجته، على سبيل التفكّه، يوم تدشين قصر قرطاج - وما أحسبه إلا محدثًا به نفسه. فقد قال لها، وهي تعبر عن إعجابها بفخامة القصر: «قد يكون لك، يوما، فتكوني أنت، صاحبة الأمر والنهي فيه».

ولا شك أنه كان جديرا بالخلافة. ولا غرو أن كان يحدث نفسه بها، لكن دون ميل إلى الجهر بالأطماع التي لا تليق بالمناضل الملتزم. كان الطيب المهيري يجعل تونس فوق كل اعتبار، من أجل أمنها، وسيادة دولتها، وكرامة شعبها. وهذا الثالوث هو الذي ينبغي أن يتخذه الشباب شعارهم، اليوم، ومنازةً لتبني سبل المستقبل. الشاذلي القليبي



منذ أول شبابه، كان الطيب المهيري يحظى بالاحترام والود، من لدن رفاقه. وقد انخرط في الحزب الحر الدستوري الجديد، منذ كان تلميذا في الصادقية، رغم أن عائلته كانت تنتمي إلى اللجنة التنفيذية.



# محمد بن اسماعيل رائد من رواد الإعلام التونسي

ليدرز العربية العدد 31 جويلية 2018



**في** بداية تكليل الكفاح الوطني بالنصر، من أوائل المناضلين بالقلم والفكر، مع مجموعة مجلة L'Action، التي أسسها المجاهد الأكبر، في خضم المعركة التحريرية. ثم لما أخذته مشاغل بناء العهد الجديد، تنازل عن إدارتها لثلة من الشباب كانوا، في باريس، لدى زعماء السياسة وكبار الإعلاميين، وخاصة لدى الزعيم منداس، صوت التوجهات البورقبيية، في حزمها واعتدال اختياراتها.

في مقدمة هؤلاء الشباب المناضلين، يذكر التاريخ محمد المصمودي الذي التفّ حوله العديد من الطلبة، من ألمهم البشير بن يحمّد. ولما سمحت لهم الظروف بالعودة إلى أرض الوطن، كانت بغيتهم مواصلة النضال، من أجل نصره الحبيب بورقبيية فيما اتفق فيه مع منداس فرانس، وهو التفاوض لتحقيق الاستقلال الداخلي. ولمعرفة المجاهد الأكبر لأهمية الإعلام في كسب الأنصار، فقد أراد إحياء صحيفته التي كانت لسان حزبه، وهي L'Action؛ وثقته كانت متجهة إذًا إلى تلك الثلة من الشباب الذين عرفهم في باريس، وخبر صحة انتمائهم إليه؛ فرشح لإدارتها البشير بن يحمّد، مع تأييد، عن كثب، من محمد المصمودي.



وإذًاك تولى بن يحمّد جمع عدد من الأعضاء، في تحرير L'Action الجديدة. وكان محمد بن اسماعيل أول مساعديه.



وكانت تلك فترة لامعة من مسيرة الإعلام في تونس، قبل أن تتغيّر الأمور، وتختلف الاختيارات: فهاجرت الجريدة، وصاحبها الجديد، البشير بن يحمّد، إلى روما ثم إلى باريس، حيث استطاع أن يبنى مؤسسة مغاربية، إفريقية، نموذجية تحت إسم Jeune Afrique.



وتولى، من جهته، محمد بن اسماعيل، بناء مؤسسة للنشر، كتبت لها النجاح؛ وسانده فيها ابنه كريم، قبل أن يترك له مقاليد الأمور. رحم الله من كان من رواد الإعلام التونسي، وكتب لابنه الاقتداء بخصال والده الهمام. ■

الشاذلي القليبي

S A H A T Y

# ASSURANCE SANTÉ

CLINIQUE



GREY



## VOTRE SANTÉ EST NOTRE PRIORITÉ.

Avec **SAHATY**, le premier contrat d'assurance santé individuelle du marché, **CARTE ASSURANCE** vous rembourse en complément de la CNAM, sur la partie des dépenses restées à votre charge.

Que vous soyez salarié, indépendant, profession libérale ou sans emploi, vous bénéficiez d'une assurance complémentaire santé composée de différentes formules adaptées à vos besoins.

Plus de détails sur notre site internet.

[www.carte.tn](http://www.carte.tn)

On vous l'assure.



# «...تعالوا إلى كلمة سواء...»

ليدرز العربية العدد 32 أوت 2018

أغلب النصوص المقدّسة، في الديانتين اليهودية والمسيحية، لا يعتبرونها «منزلة» في نصوصها والفاظها: وأكثرها منسوب إلى أنبياء أو إلى رجال اشتهروا بالتقوى والصلاح. أما القرآن، فالمسلمون يؤمنون بأنه نزل على الرسول محمد - عليه صلاة الله وسلامه - بسوره وآياته وكلماته: فلا يخطر ببال أي مسلم أن آيات منه، يتطرق إليها الباطل، بصورة من الصور.

ويعقوب... إنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار...». وما جاء في القرآن عن المسيح وأمه، يكتسي روعة عالية؛ وما جاء سلبا في حق فئات من اليهود، فللتذكير بذنوب كانوا ارتكبوها في حق دينهم.

وموقف القرآن من اليهود - ويُسَمِّيهم «بني إسرائيل» - يتلخص في قوله: «ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين». ثم إن القرآن، في حديثه عن الديانتين السابقتين، لا يقتبس مما جاء قبله من كتب. فالمسلمون يؤمنون بأن القرآن صادر عن الخالق، عز وجل، الذي هو مصدر الرسالات السماوية، كافة، ومُنزَّل سائر الكتب، جميعا، ومنها القرآن: «وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك مصدق الذي بين يديه»، ويقول، عز وجل، مخاطبا رسوله: «والذي أوحينا إليك من الكتاب، هو الحق، مُصدقا لما بين يديه...». أي مُصدقا للتوراة والإنجيل.

فالدعوة التي أطلقها البعض إلى إلغاء آيات معينة من القرآن، يعتبرون أن فيها إساءة إلى اليهود، هذه الدعوة تنم، حينئذ، عن اعتقاد بأن القرآن مصدره بشري: وإلا فإن الإيمان ينتقض جميعه، إذا المؤمنون ادّعوا، فيما نُزل بالوحي، لفظاً ومعنى، التمييز بين ما هو صالح وما هو مؤذٍ، في نظرهم - مخالفين بذلك إرادة الخالق، عز وجل. أما إذا دعوتهم تعني أيضا تطهير الشروح والتفاسير، من عائلات بث الكراهية، فهذا دليل على أنهم غير مُطلعين على ما صدر، منذ قرون متتالية، من شروح عالية الشأن، بعيدة المقاصد، نقيّة الأغراض.

أما إذا تعلق الأمر بما يذهب إليه بعض المسلمين، في تعصّبهم الجائر، فالمشكل عندئذ ليس في النص القرآني، وإنما هو ناتج عن سوء فهم له، أو عن خلط بين الأوامر الظرفية، وبين الواجبات الدائمة. والقضية هي إذن اجتماعية، وليست دينية. ومجتمعنا تعاني الويلات بسبب هذه الانحرافات الضالة. أما إذا تعلق الأمر بما ارتكبه اليهود، زمن رسولهم موسى، وفي عهد بعض أنبيائهم، من بعده فيعتبرون مجرد التذكير به تلبا في حقهم، ويدعون أنه

أما ما يُروَّج له، في بعض البلاد الأوروبية - رُما بإيعازات مُغرضة - من أن القرآن يبيِّت الحقد، ويحثُّ على أعمال العنف ضدَّ أهل الكتاب، فهذا القول ناتج عن سوء فهم للنص القرآني، إمّا من قبل فئات تدعي الدفاع عن الإسلام، وإمّا من قبل خصوم للإسلام، اطلعوا على القرآن بواسطة ترجمات قد تكون غير محكمة؛ ولعلهم يجهلون أوضاعا تتعلق بالفترة الجاهلية، وما كان فيها من مواجهات، بين دعاة الإسلام والفئات المناوئة لهم.

لكن التوصية الصادرة إلى المسلمين، وهم مضطهدون همّة، أن يتمسكوا بالصبر، وأن لا يردوا الفعل - أغلب الظنّ عندي أنه يُقصد منه، خاصة، وقاية للمجتمع المكّي من انتشار الفتنة. فلما انتقل مقرّ الدعوة إلى يثرب - التي سُميت منذئذ بـ«المدينة» - رأى المشركون الناس «يدخلون في دين الله أفواجا»، فتألّبوا على المسلمين؛ وانضمَّ إليهم من تحالف معهم، من اليهود - رغم أن المسلمين أقرب إلى اليهود من المشركين، من حيث العقيدة؛ ولكن غلبت عليهم أوضاع الجاهلية الجهلاء، فغلبوا سياسة المصالح. فإذّك صدر للمسلمين الإذن بالقتال، لكن خارج «أسوار» المدينة؛ واتخذت المجابهة نمط الحرب بين معسكرين. وهذه الآيات التي تحرّض على القتال، إمّا هي حينئذ ظرفية، للتحرّيز على الدفاع، ولردّ العدوان، في ظروف معينة، وهي إذن لا تأمر بواجبات ثابتة، غير مقيّدة بزمان ولا مكان.

ومعروف أن عددا من أبرز الشخصيات اليهودية اعتنقوا الإسلام، وتبوؤوا منازل عالية في المجتمع الإسلامي. ومعروف أيضا أن في القرآن آيات كثيرة تشيد بموسى وهارون - حتى قيل، تفكّهما، إن القرآن، في جملته، «قال موسى». والقرآن يشيد بالأنبياء الذين ينتسب إليهم موسى، إذ يقول: «واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق



وخصوم الإسلام، لو أخلصوا النيّة، لتذكروا أنّه يدعو أتباعه، إلحاحاً وتكراراً، إلى تدبّر القرآن - وحسن فهم آياته، لفتح الأفاق إلى ما يكون به الإسلام، حقاً، صالحاً لكلّ زمان ولكلّ مكان، وشاملاً لكلّ الفئات، مصداق قوله تعالى: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها». ولو فعلوا لتأكدوا أنّ الإسلام دين اجتهاد، يدعو إلى أعمال العقل في المقاصد، واعتبار المصالح العاجلة والأجلة، حتّى يبقى، دوماً، سبيلاً مفتوحاً إلى دائم الارتقاء بالمجتمع، وإصلاح ذات البين فيه، وإلى دائم التسامي بالإنسان إلى ما ينبغي من درجات التطور والفلاح.

فلا اجتهاد إذن، في الإسلام، ليس بمعنى إعادة صياغة الآيات - وهو مسّ بما جاء عن طريق الوحي - بل الاجتهاد إنّما هو الغوص في الأعماق من معاني الآيات، وإدراك لأبعاد من مقاصد الإسلام. فإذا سلّمنا بأنّ العلاقة بين أتباع الإسلام وبين أتباع الديانتين السابقتين، إنّما هي علاقة التقاء في الأصل، وهو الإسلام، لله عزّ وجلّ، وأنّ هذه العلاقة اضطربت لدخول جيل من اليهود المقيمين في بلاد العرب في حلف مع المشركين المُعادين للإسلام، فلا معنى لاتهم المسلمين بالأساميّة - لا سيما أنّ العرب واليهود ينتمون، جميعاً، إلى نفس الأصول العرقيّة. وقد كان ظهر التنغم بين الديانات السماويّة الثلاث، جلياً، في حضارة الأندلس، إذ شارك في صنّعها اليهود والنصارى، في مجتمع إسلامي بلغ قمّة من الحضارة، لا يميز فيه بينهم وبين المسلمين. بل إنّ الثقافة اليهوديّة شهدت، في الأندلس، تطوّراً عالياً لم يسبق لها مثله؛ وكان لأصحابها، في المجتمع الأندلسي، درجات متسامية من المسؤوليات.

وهذا التمازج الحضاري الذي صنّع حضارة الأندلس، لم يشهد مثله التاريخ من قبل، إذ كان ما قبله من حضارات إنّما يقوم على الميز والإقصاء، واعتبار المُغايرين، في الثقافة واللغة والدين، من «البرابرة»: فيعيشون على هامش المجتمع المتحضّر.

أمّا المسلمون، فيأمرهم القرآن بأنّ «لا يُجادلون أهل الكتاب إلاّ بالتّي هي أحسن».

وقصارى القول فإنّ المجتمع الإسلامي فتح السبيل إلى التعاون الحضاري بين الشعوب - مصداق قوله تعالى: «وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين» - وأنّه هو الذي نهج إلى النموذج الحديث، القائم على التآلف الحضاري بين «أهل الكتاب»، جميعاً، وغيرهم، ممّن كان لهم باع في إثراء الحضارة الإنسانيّة.

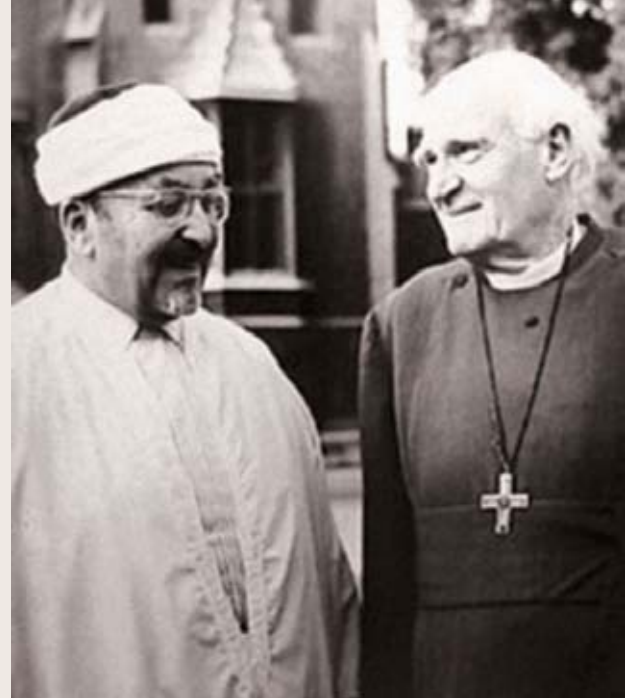
وهو ما قامت عليه حضارة الأندلس؛ ومنها نهلت أوروبا، واستعانت بما أخذته، لتتقوى على إطلاق نهضتها الحضاريّة. ش.ق.

دعوة للكرهية - وهي، في عصرنا، التّهمة «القاتلة»، في نظرهم، أو همّ يروجونها كذلك، لأيّ شعب يكافح من أجل نيل حقوقه - فإنّ ذلك إقحام لبعض الأغراض السياسيّة - ومنها هموم فلسطين وما إليها - في سياق الاعتبارات الدينيّة.

هذه هي الأبعاد التاريخيّة لتشنج العلاقة بين اليهود والمسلمين، لكنّها ازدادت تعقّلاً بقيام دولة لليهود، على أرض ملكيّتها في نزاع بين الطرفين.

والحقيقة، أنّ اليهود كانوا دوماً على غير محبة ولا وئام مع المسيحيين، لأنّهم انتزعوا منهم شرف الرسالة؛ وهمّ، جميعاً، أولئك وهؤلاء، في خصام مع الإسلام، لأنّه جاء مُصحّحاً لبعض ما همّ عليه.

ولو أمعنوا النظر، لأدركوا أنّ الإسلام جاء مُشيداً بما نُزل على موسى والمسيح، مُعتبراً أنّ مجموع اليهود والنصارى - في أصل ما دُعوا إليه - همّ جميعاً، مع أتباع الدعوة المحمّديّة، يحقّ أن يُقال عنهم إنّهم «المسلمون»: «ملة أبيكم إبراهيم هو سماءكم المسلمين من قبل». ذلك أنّ «الدين عند الله الإسلام». «وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً». «والهنا وإلهمكم واحد ونحن له مسلمون».



## توقعات محافظ البنك المركزي بشأن تداعيات كوفيد - 19 على الاقتصاد التونسي

الجبائية بعوامل شتى ومنها على سبيل المثال تقلص الاستهلاك وتراجع الواردات والوضع المالي للمؤسسات العمومية الذي تدهور وتراجع مداخيل قطاع النفط في علاقة بانهيار أسعار البترول . وأشار مروان العباسي إلى أن النفقات الموجهة للصحة العامة ولإسناد الاقتصاد ستسجل في المقابل ارتفاعا ذا بال، مؤكداً أن تونس ستواصل في الوقت نفسه الإيفاء بالتزاماتها بما فيها تلك المتعلقة بسداد الدين.

ويبين أن عجز الميزانية بعنوان سنة 2020 سيتفاقم وستتجاوز حاجيات البلاد من التمويلات ذات الصلة بدعم الميزانية وعلى رأسها التمويلات الخارجية ما هو مُقدّر ضمن قانون المالية لسنة 2020، ملاحظاً أن الوضع يتطلب سلوك مسلك الحذر إلى أقصى حدّ بالنظر إلى محدودية الميزانية وإلى الدين العمومي في سياق تطغى عليه الضغوط المسلطة على الأسواق المالية العالمية.

ويتوقع محافظ البنك المركزي أن ينخفض عجز ميزان المدفوعات خلال سنة 2020 بشكل مهم نسبياً وفي حدود 7,5% من الناتج الداخلي الخام، مقابل 8,8% في سنة 2019. كما ينتظر أن ينخفض حجم الواردات بمفعول انكماشها كما هو متوقع، وأن يكون ذلك مقترنا بانخفاض في كلفة مواد الطاقة بسبب تدي أسعار النفط في السوق العالمية، وهو ما سيسمح بتعويض جزء لا يستهان به من انخفاض العائدات من العملة الصعبة المتأتية من صادراتنا من السلع ومن السياحة ومن تحويلات العمال التونسيين المقيمين بالخارج.

وحسب مروان العباسي سيكون انخفاض العجز الجاري مقترنا بتدقق لرؤوس الأموال بشكل مهم، وهو ما سينعكس بصورة إيجابية على القطاع العام والقطاع الخاص وذلك في سياق تعبئة لكل المؤسسات المالية الدولية على نطاق واسع لأجل إسناد تونس ودفع النشاط الاقتصادي بها.

ويتوقع محافظ البنك المركزي كذلك حصول نوع من التوازن على مستوى العملات عرضاً وطلباً بمفعول تطوّر ميزان المدفوعات وهو ما سيحول دون حدوث ضغوط قويّة على قيمة الدينار خلال الأشهر القادمة، مؤكداً أن المخزون من العملة الصعبة لدى البنك المركزي التونسي قد بلغ مستوى يوفر للبلاد مجالاً مريحاً لتخفيف وقع أزمة كوفيد-19. ■



اعتبر مروان العباسي محافظ البنك المركزي التونسي في حديث أدلى به لمجلة ليدرز الناطقة بالفرنسية أن التقديرات والآفاق في نهاية 2020 يلقها شيء من الغموض ولا تبدو بالوضوح الكافي، وهذا مرتبط ، من وجهة نظره، بالمدّة التي يستغرقها الحجر الصحي نتيجة تفشي فيروس كورونا وكذلك بعودة النشاط إلى سالف عهده وبالمدّة التي ستستغرقها هذه العودة.

وذكر أن آخر التقديرات تشير إلى أن تونس ربّما تسجّل انخفاضا في ناتجها الداخلي الخام بنسبة 4%، هذا إذا عادت المياه إلى مجاريها بدءاً من السادسة الثانية من السنة.

وأوضح أن الأزمة الناجمة عن كوفيد-19 - ستسبب لا محالة في تديّ مقاييس الدولة إلى مستوى لا يستهان به، وستتأثر المقاييس

QNB pour les entreprises,  
les meilleurs services adaptés à vos futurs projets.





E-TAJER

# E-tajer

Vous êtes Commerçants ou Opérateurs économiques ?

**Passez au commerce 2.0** en toute sécurité

[www.atb.tn](http://www.atb.tn)



ATB TUNISIE



Des professionnels  
pour vous.

## جولة مفاوضات بين تونس وصندوق النقد الدولي في الصائفة القادمة



وأوضح أنه يفضل توحي الحذر حيال الدعوات إلى إقرار أداءات جديدة، فالأنسب، في نظره، هو تخفيف الضغط الجبائي وتبسيطه بالتخفيض في النسب المختلفة والتقليص من سوء التصريح. فالأمر يتصل بإحلال العدالة الجبائية وجعل التصريح الكامل والموقوت واجبا.

وأفاد نزار يعيش بأن مفاوضات ستجمع الحكومة وصندوق النقد الدولي في جويلية أو أوت القادمين وذلك بعد أن تحصلت تونس من الصندوق على مبلغ هام (746 مليون دولار، أي ما يناهز 2,2 مليار دينار) في نطاق التمويل السريع لمجابهة تأثيرات جائحة كورونا، موضحا أنه سيتم حاليا تقييم نتائج التعامل مع الصندوق قبل بدء النقاش حول البرنامج القادم. ■

أكد وزير المالية نزار يعيش أن الأزمة الناجمة عن جائحة كوفيد-19 تحتم إعادة توظيف الاعتمادات المخصصة في ميزانية الدولة وإطلاق مفاوضات مع الجهات الممولة والخروج على السوق المالية الداخلية وغيرها والإبقاء على كل الخيارات مفتوحة في مجال البحث عن التمويلات، ملاحظا أن الحكومة ستحاول ألا تؤجل كل المشاريع المندرجة في باب التنمية وأن تتصرف في ضوء ضغوط الميزانية التي باتت ملزمة.

وذكر في حديث أدلى به لمجلة ليدرز الناطقة بالفرنسية أن الدولة ستكون مضطرة إزاء تأثر المدخيل التقليدية (أداءات وضرائب...)

إلى البحث عن مسالك أخرى للدخل مثل ملاحقة التهرب الضريبي وسوء التصريح الجبائي والسوق غير المنظمة التي تفلت من كل ضريبة وغيرها من المصادر. واعتبر أن السوق المالية الخارجية شديدة الضيق ولا توفر للبلاد اليوم ظروفًا ملائمة. فهي باهظة ومكلفة جدًا، مؤكداً أنه يولي هذه المسألة عناية كثيرة وأنه لا يريد أن يترك لأخلافه ديونا ثقيلة.

واستبعد وزير المالية سنّ عفو جبائي هذه السنة شبيه بذلك الذي تمّ في السنة الماضية، ملاحظا أن العفو حينما يصير متواترا يفقد كل معناه ويبعث برسائل سلبية إلى دافعي الضرائب. وقال إن هناك صيغا أخرى قيد الدرس تعمل الحكومة على أن تكون مُدرجة في إطار خطة تشتمل على برنامج واسع للإصلاح الاقتصادي والمالي تستفيد منه كل القطاعات.

## «تحيا تونس» والطريق نحو المستقبل

الحاكمة الاضطلاع بدور نشط سواء في البرلمان أو الحكومة وإثراء الحوار بمقترحات مفيدة، علاوة على مساهمة ممثليه في الحكومة سليم العزاي وشكري بن حسن.

ويطمح الحزب إلى أن يكون « فضاء لفكر شامل ومجدد. ولهذا الغرض ستعكف لجان تفكير على قضايا تهتم الحاضر والمستقبل لصياغة مقترحات مشاريع قوانين وتوصيات، ومن شأن هذا العمل في العمق أن يجلب إلى الحزب كفاءات في قطاعات مختلفة وأن يعبد له الطريق نحو المستقبل». وفق المصدر ذاته. ■

استغلّ رئيس الحكومة الأسبق يوسف الشاهد فترة الحجر الصحي الذي فرضته جائحة فيروس كورونا للتفكير في مستقبل حزبه «تحيا تونس». ولئن لا تزال الأفكار الكبرى في طور المخاض فإن الرؤية بدأت تتضح بشأن المسالك التي يمكن انتهاجها في مرحلة أولى لتعزيز أسس الحزب وتوسيع قاعدته، وذلك وفق مصدر قريب من يوسف الشاهد.

ويعتزم «تحيا تونس» الذي يعدّ 14 نائبا في مجلس نواب الشعب والمنتتم إلى الأغلبية





# MANDAT cash



أبعث كاش  يوصل كاش  
في أقل من دقيقة

## BNA Mandat Cash

Mandat Cash est un service de transfert instantané d'argent simple et sécurisé ,destiné aussi bien aux clients qu'aux non clients de la BNA.

L'envoi des mandats peut s'effectuer en espèces ou par débit de compte courant ou compte d'épargne auprès de toutes nos agences,ou via nos solutions de banque à distance BNA eBanking et BNA mBanking. Le bénéficiaire peut récupérer son mandat dans nos GAB et nos agences.

**NOUVEAU  
SERVICE**



Vient de paraitre

Riadh Zghal



Et pourtant,  
il va falloir voter



En librairie

Tel : +216 71 232 111  
www.leaders.com.tn



## جهود حثيثة لتعبئة مزيد من الموارد المالية

تعكف فرق عمل صلب وزارة التنمية والاستثمار والتعاون الدولي على إعادة النظر في ترتيب الأولويات وهيكلية المشاريع الجارية قصد إحكام توظيف الموارد المالية والالتزام بما هو ضروري منها، وذلك في ضوء الأوضاع الجديدة الناجمة عن جائحة كورونا.

وذكر سليم العزابي في حديث خصّ به مجلّة ليدرز الناطقة بالفرنسية أنّ هذه «الكارثة» التي تسببت في تراجع مستوى التنمية ومستوى العائدات الجبائية ولدت الحاجة إلى تعبئة المزيد من الموارد المالية التي توفرها الأطراف التي عاودت ما تتعامل معها تونس، علاوة على الاحتياجات المحددة في قانون المالية لسنة 2020 وبالغلة 11248 مليون دينار، علماً وأنّ الجزء المخصّص للتمويل الخارجي يتجاوز 8000 مليون دينار.

وأوضح وزير التنمية والاستثمار والتعاون الدولي أنّ فرق العمل صلب الوزارة بصدد إجراء مشاورات يومية مع شركاء تونس لسدّ الحاجيات من التمويل في حدود الضرورة القصوى، مكبراً ما لقيته البلاد من عون سياسي ومالي في الإبان وبالنجاعة المطلوبة من عدد من هؤلاء الشركاء، من بينهم الاتحاد الأوروبي. وأشار إلى أنّ هذا الدعم يتجسّم في التعجيل بتنفيذ البرامج الجاري إنجازها وفي رفع حجم تمويل بعض البرامج ذات العلاقة المباشرة بالصحة العامّة في تونس وفي تسخير أموال جديدة من خلال سياسة الجوار الأوروبية.

وبيّن أنّ تونس بصدد التفاوض مع الاتحاد الأوروبي بشأن إسناد مالي (AMF3) بقيمة 600 مليون يورو (ما يناهز ملياري دينار) بعد أن حظي هذا الإسناد بموافقة المفوضية الأوروبية ولم يبق إلا التصديق عليه بشكل نهائي في غضون شهر ماي القادم من قبل البرلمان الأوروبي.

كما أفاد سليم العزابي بأنّ تونس بصدد إجراء مفاوضات لوضع اللمسات الأخيرة لما يسمّى بـ«الحاضنة الموحّدة - matrice unifiée» وهو مفهوم جديد يتمثّل في دعم مشروع إصلاحات تتولّى تمويله مجموعة من الأطراف المشاركة التي لها علاقات تعاون مع تونس ( البنك الدولي، الوكالة الفرنسية للتنمية، المؤسسة المالية العامة الألمانية - KfW، الوكالة اليابانية للتعاون الدولي - JICA الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، البنك الإسلامي للتنمية ... ) وقد يتجاوز الغلاف المالي لهذا المشروع، حسب الوزير، 500 مليون يورو (قرابة 1600 مليون دينار).<sup>1</sup>

# الحكومة ليست على قلب رجل واحد انضباط في القصبية وقصف بالمدفعية الثقيلة في باردو



• بquam رشيد خشانة

منها إلى حليفها المفترضين في القصبية. أكثر من ذلك هناك «اشتغال» على نواب «قلب تونس» من جهات مختلفة للفوز بما تيسر من تركة الحزب، في ظل أزمتته الراهنة. وفي الجهة الأخرى ليست العلاقة بين «النهضة» و«التيار» سمنًا على عسل، فهما ليسا على قلب رجل واحد، بل حاول رئيس «التيار» تسجيل نقاط على حساب «النهضة» في موضوع الفساد، فتلقى إنذارًا بـ«التزام الانضباط».

## مسطرة للجميع؟

قد يعتبر البعض هذه المناكفات أمرًا طبيعيًا في حكومة ائتلافية، مُتحمجين بتجارب بعض الحكومات، في إيطاليا مثلاً، وأخرها حكومة ماتيو رينزي، التي جمعت اليسار مع اليمين. لكنّ هؤلاء كانت لديهم مساطر تسير على هديها الحكومات، والخارجُ عنها يستقيل من تلقاء نفسه.

بالعودة إلى قراءة محاور الخلاف بين «النهضة» و«حركة الشعب»، تبدو علامات الاصطفاف داخل المحاور الإقليمية بيّنة لدى الجانبين، مع محاولة جرّ تونس إلى هذا أو ذاك من المحاور المتصارعة. في هذا السياق أثارت زيارة رئيس حركة «النهضة» إلى تركيا واجتماعه على انفراد مع رئيسها رجب طيب إردوغان لغطاً كثيراً داخل المجلس وخارجه. وهناك من حرّم عليه القيام بمثل تلك الزيارات بعيداً عن عدسات الإعلام.

ولئن كانت مقابلة الرؤساء الأجانب جزءاً من نشاط أيّ رئيس برلمان في الأنظمة الديمقراطية، فإنّ ما حفّ بزيارة رئيس «النهضة» من زوايا معتمدة، هو ما أثار عاصفة الاحتجاجات والانتقادات. ويمكن رصد تلك الزوايا في النقاط الثلاث التالية، بحسب العرف الجاري العمل به في مثل هذه المواقف:

- أن تكون الدعوة موجّهة من نظيره رئيس البرلمان التركي، وأن تكون الجلسة الرئيسية خلال الزيارة مع رئيس البرلمان، بحضور وسائل الاعلام من البلدين.
- أن يكون اللقاء مع رئيس الدولة أو الحكومة لقاء بروتوكولياً، مع التغطية الإعلامية الضرورية، وأن يحضر رئيس البرلمان للقاء، إلى جانب حضور الوفد الزائر.
- أمّا إذا كان رئيس مجلس نواب الشعب قد أدّى الزيارة إلى تركيا بوصفه رئيس حزب سياسي، فهذا يقع في خانة المكروه، أقلّه في وضعنا الراهن، لأنّ الفائدة الوحيدة منه هي سكب الزيت على نار المناكفات، التي ما فتئت البلاد تصطلي بناورها، وتعميق الاستقطاب بحشر تونس في

سفينة الائتلاف الحاكم، هذه الأيام، منطقة تقلبات وزواجع، لم تعرف مثيلاً لها منذ أن تشكّلت، من مكونات غير متجانسة، بحكم نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة. تأتي هذه التقلبات وسط تحديات كبرى، تخصّ إدارة أزمة «كوفيد 19» غير المسبوقة، لكنّ تجلّياتها برزت بقوة، من خلال المناكفات والانتقادات المتبادلة بين أطراف الائتلاف الحاكم، التي وصلت إلى حدّ التنابز بالألقاب، على قارعة المواقع الاجتماعية وفي وسائل الاعلام التقليدية على السواء.

ولو تمعنّا في المشهد الراهن المتشظّي، لألفينا ثلاثة خطوط بعضها متقاطع وبعضها الآخر متباعد. أحد الأضلاع الثلاثة لهذا المشهد هو الصراع المفتوح بين «حركة النهضة» و«حركة الشعب»، على خلفية معارضة الأخيرة للحالفات الخارجية لـ«النهضة»، وخاصّة دفاعها عن علاقة وثيقة مع أنقرة والدوحة. وألقى الخلاف بظلاله على عمل مجلس النواب وعلى لجانه، وخاصّة لدى مناقشة مشروع اتفاقين مع كلّ من تركيا وقطر. ويُعتبر هذا الخلاف جزءاً من تباعد كبير في الرؤى، بين الحزبين، سواء بشأن الصراع في سوريا أم في ليبيا، زيادة على ملفّات أخرى إقليمية ودولية. خارطة في القصبية وأخرى في باردو

مع ذلك كان يمكن محاصرة الخلاف واستيعابه داخل الأطر المؤسسية، لكنّه انزلق إلى تبادل للشتم بين الأمين العام لـ«حركة الشعب» ورئيس كتلة «النهضة» في مجلس النواب. وكان الأنسب عرض مشروع الاتفاقيتين على المجلس والقبول بنتائج التصويت، مع ضرورة التأكيد سلفاً من أنّ بنود الاتفاقين تخدم مصالح تونس والطرف الأجنبي على السواء، فعندها لا تهّمنا طبيعة النظام السياسي في البلد المعني، لأننا لسنا أوصياء على الشعوب الأخرى. غير أنّ الانزلاق إلى السباب يُخفي في الواقع حنقا مكتوماً لدى «الحليفين» ضدّ بعضهما البعض، وجد فرصته ليطفو على السطح. وإذا ما أضفنا هذا القصف المتبادل إلى التقارب القائم بين «حركة الشعب» و«حزب التيار»، نلاحظ أنّنا إزاء خارطتين مختلفتين في القصبية وباردو: فعلى صعيد الحكومة يوجد حدّ أدنى من الانسجام والانضباط بين وزراء الأحزاب الثلاثة، التي تشكّل النواة «الصلبة» للحكومة، وهي «حركة الشعب» (16 مقعداً) و«حركة النهضة» (54 مقعداً) و«حزب التيار» (22 مقعداً)، لكن تلك النواة أصبحت رخوة بفعل المعارك الداخلية.

أمّا في مجلس النواب فالخريطة مختلفة، إذ بنتنا نشعر بأنّ «النهضة» أقرب إلى غريمها السابق حزب «قلب تونس» (38 مقعداً قبل الاستقالات الأخيرة)،

## تجتاز

هكذا بعد أن كان شعار «الوحدة القومية» غطاء لاستبداد الحزب الواحد في ستينات وسبعينات القرن الماضي، ستعدو «الوحدة الوطنية» مطية لهيمنة الحزب الأول في نظام تعددي. والافت لانتباه هاهنا أن «النهضة»، أخرجت من الدرج سردية المظلومية، مجدداً، لجعل الرأي العام يبتلع لُقية «الوحدة الوطنية»، بادعاء أن «البرلمان مُستهدف من قبل حملات وخطاب يدعو التونسيين إلى إسقاطه». وجدير بالتوضيح هنا أن مفهوم «الوحدة القومية» و«الوحدة الوطنية» يتعارضان تماماً مع أساس الديمقراطية، القائمة على الاختلاف، وعلى وجود أحزاب تحكم وأخرى تعارضها.

### جيش فيسبوكي

مثلاً عُرِفَت الحملة على «كوفيد 19» بالدور الذي لعبه فيها الجيش الأبيض، عُرِفَت حملات «النهضة» على خصوصها، بالجيش الفيسبوكي الذي يُعهد له بتلك الحملات، فيُشوّه من يُشوّه ويغسل بالماء والجفال من عظمت ذنوبه ثم استأهل عفو الحركة. على سبيل التذكير تم إحصاء أكثر من 7 ملايين حساب على الفيسبوك في تونس عام 2018، من بينهم 41 في المئة تراوح سنهم بين 13 و24 عاماً، فيما تراوح سن 33 في المئة منهم بين 25 و34 عاماً. وتُجند «النهضة» قسماً غير معروف من هذا الجيش الافتراضي، لكنّه جيش حقيقي، ومعظم جنوده متفرغون لهذا «الشغل»، بحسب ما يظهر من تدويناتهم المتطابقة تقريباً، ومن حملاتهم الجماعية.

على أن العائق الأساسي أمام تقبل تلك الخطابات الفيسبوكية المتلونة، يتمثل في أن معظم القياديين الذين يتصدون للدفاع عن مواقف الحركة، مُتفرون لسامعيهم ومشاهديهم. ومن أمثلة ذلك طريقة الدفاع غير الصائبة عن الاتفاقين مع تركيا وقطر، ومشروع الاتفاق بين «الخطوط التونسية» و«القطرية»، مع أن الأخير كان بساط إنقاذ للناقلة الوطنية المفلسة، من دون السماح للطرف الثاني بالاستحواذ على غالبية الأسهم، وهي صيغة لجأت لها كبريات الناقلات العالمية، لتجاوز أزماتها بأقل الخسائر. بهذا المعنى، قد يتسبب دفاع «النهضة» غير الموفق عن الحكومة في إرباكها وزيادة صعوباتها، إذ لو نجحت (الحكومة) سيكون ذلك، في الدرجة الأولى، نجاحاً لرئيسها، بوصفه قائد الفريق. وإذا حصل العكس سُتلقى المسؤولية على «النهضة» لأنّها الحزب الأول في الحكومة (وزراء ومستشارون) وأيضاً لكثرة دفاعها المهزوز عن الحكومة، الذي تفوح منه رائحة التشبث بالمغانم الفئوية والشخصية.

### مؤتمر مؤجل

هذا الارتباب الذي يُرافق خطاب «النهضة» يُحيل إلى المؤتمر المقبل للحركة، الذي يُفترض أن يكون موعداً لمراجعة الخطاب وتوضيح الأهداف وبلورة الشعارات. وكان مقرراً أن يلتئم المؤتمر هذا الشهر. لكنّ هجمة «كوفيد 19» وهبت هدية من السماء للمطالبين بتأجيله، وتأخير ساعة التداول. غير أن التأجيل لن يكون بلا سقف... وسيُطرح موضوع التداول على معنى القرار المُتخذ في المؤتمر الأخير، بتحديد عدد الفترات الرئاسية، وهو في جميع الأحوال مثاراً للجدل حالياً، داخل هياكل الحركة وفي كوايسها... ر.خ.

متاهة التجاذب بين المحاور الإقليمية. ولذا فإنّ من انتقدوا غياب رئيس البرلمان التركي والسفير التونسي مُحَقّقون في ملاحظتهم. وعليه فإذا كان رئيس مجلس النواب يُخطط لزيارة قادمة إلى قطر، فمن المستحسن أن يأخذ في الاعتبار عاصفة التعاليق التي أعقبت زيارته لتركيا.

### نيران صديقة

تكاد تلك العلاقة المزدوجة بين «النهضة» و«حركة الشعب» تنطبق أيضاً على علاقتها مع الحليف الآخر: «التيار»، الذي كثيراً ما يطلق «نيراناً صديقة» على «النهضة»، مُركّزاً على موضوع الفساد، مثلما أسلفنا. وقد أجاب رئيس الحزب على سؤال لصحيفة «لابراس» حول طبيعة العلاقة بين الحزبين، بقوله «نحن على خلاف مطلق مع «النهضة» وقياديتها ورؤيتهم للدولة، وهو ليس خلافاً عقائدياً، فنحن لم نكن خصومهم في الماضي أبداً (...). وأقول للتونسيين إنّ النهضويين يخدعونكم بتقديم أنفسهم بوصفهم حزبا عقائدياً، وهذا غير صحيح، فهم حزب براغماتي يمكن أن يتبنى أية رؤية اقتصادية واجتماعية، لذا فخلافاتنا تنصبّ على أسلوب الحوكمة ومكافحة الفساد. وجميع المعارك التي خاضوها ضدّ خصومهم في السنوات الأخيرة غير مقبولة بالمرّة. حتى لما كنا بصدد التفاوض كانوا أحياناً جيّدين وأحياناً أخرى يُطلقون علينا جحافل الجيش الافتراضي. بتعبير آخر كانوا يستخدمون نفس الأساليب المقيتة التي استعملها بن علي» (لابراس 25 نوفمبر 2019).

علاقة هذه عناوينها ونسغها لا يمكن أن تثمر بناء ديمقراطيا صلب العود، متين الأركان، بل سُورُتُ الريبة والمُداهنة. ولعلّ هذا ما قصده من توقّعوا ألا تصمد الحكومة بعد معركة الجائحة. لكنّ الأرجح، في ظلّ النتائج الجيدة المُسجلة في تونس، قياساً على الجيران، بل حتّى على الدول المصنعة، أن خطة المجابهة المُعتمدة حتى اليوم ستوضع في ميزان حسنات الفريق الحكومي، من دون التغافل عن الدور الشخصي لوزير الصحة، بوصفه قد أحسن قيادة فرق الأطباء والعلماء والإطار شبه الطبي، الذين قدّموا تضحيات جمة يستحقّون عليها تكريماً لائقاً. ومن العيب إنكار دور أيّ كان في تلك المجازفة الكبرى، أو التهوون منه، لمجرد الاستجابة لدوافع أيديولوجية.

### مراهنة خاسرة سلفاً

أما الحرب الكلامية الأخرى، التي حمي وطيّسها أيضاً في الأيام الأخيرة، فيعود اندلاعها إلى الشكوى التي رفعها «الحزب الدستوري الحر» إلى القضاء ضدّ رئيس مجلس النواب، وعنوانها العمل على إسقاط الحكومة، واستطراداً الإطاحة بالبرلمان، وهذه مراهنة خاسرة سلفاً، فضلاً عن كونها ضرباً من المزايدة التي لا يحتاجها بلدٌ ينشد الاستقرار.

غير أن «النهضة» تستثمر الشعور بالمسؤولية لدى الآخرين لطلب المزيد من المكاسب السياسية، بالعمل دوماً على توسيع حصّتها من الفيء، وهو المغزى من مطالبتها مؤخراً بزيادة عدد وزرائها ومستشاريها، فضلاً عن الطواقم المُساعدة لرئاسة مجلس النواب. أكثر من ذلك، هي تُعيدنا إلى مناخات «الوحدة القومية»، بطرحها شعار «الوحدة الوطنية»، التي تراها «شرطاً للنجاح في مواجهة التحديات الاقتصادية في المرحلة القادمة».



رأي

• بقلم عبد العزيز قاسم

# فيروس الكورونا أمم القضاة

حديثنا بحمد المرشد بأن تلتحق «بهاخور كذا»، مكانها الصحيح، علما بأنّ مدخلات عبير على صرامتها لا تتضمّن أية عبارة تخدش الحياء. والذي ساءني حقا هو أنّ قلة من النساء استنكرن هذا التهور الذكوري إزاء المرأة لمجرد أنها امرأة. والملاحظ أنّ التونسي عموما من مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية مبتلى بعاهة التلفظ بعبارات المرحاض والجنس. إحدى صديقتي جامعية متألقة علقت بأنّها ابتعدت عن العمل السياسي بسبب هذه العدوانية الرجالية التي تجعل من كلّ امرأة تهتم بالشأن العامّ عاهرة.

ولربّ عاهرة أشرف من شريف وكلّ العاهرات في الأصل غرّ بهنّ ذكور أنذال تربوا على الإيقاع بالأثني فحولة وأنّ الأثني التي تقع مومس. وفي هذا المعنى يقول نزار قباني من قصيدة البغي:

تُسأل الأثني إذا تَزني وكم  
مُجرمٍ دامِي الرِّزنا لا يُسأل  
وسريرٌ واحدٌ ضمَّهما  
تسقطُ البنتُ، ويُحمى الرِّجلُ

ولم تحفل عبير بالبذاءات فرفعوا من سقف الأذى بالدعوة إلى القتل. أحد النواب يكتب على صفحته الفيسبوكية بأنّه سيعدمها ويعدم رفاقها يوم يرقى إلى سدّة الحكم. والسؤال البسيط الذي يتبادر إلى الذهن هو هل الحصانة البرلمانية تحمي النواب من المساءلة القضائية عن مثل هذا التحريض؟ هذه المرأة مهذّدة في حياتها بحسب مصادر الأمن الرسمية. والعار كلّ العار للأحزاب والجمعيات والهيئات التي لا تتخذ موقفا صريحا من هذا الأمر الخطير فتونس لن تتحمل اغتيالها سياسيا آخر بهذا الحجم.

عمّ يمكن أن أتحدث والأحداث تتسارع وفي كلّ مطلع شمس تظهر نذر جديدة للإفلاس الاقتصادي والسياسي والثقافي والأخلاقي. هل أكتب عن ازدياد تورطنا في الحرب الليبية الليبية؟ وإلى أن سيجرّنا الضغط التركي المتفامم تحت وطأة طابور أردوغان الخامس؟ طائرة تركية تنزل بجربة، طائرات أخرى تهبط وتطلع في قاعدة رمادة. ومستشفى إنعاش قطري على حدودنا لصالح من وفي مقابل ماذا؟ وإذا كان هناك مقابل فقدمنا قال المثل: تجوع الحرّة ولا تأكل بثديها ويقول مثل آخر: خبز الأشرار مملأ الفم حصى. هل أكتب عن غياب الدبلوماسية التونسية بالكامل في المحافل الدولية؟ من هي الدول الصديقة لتونس؟ أو ما زلنا أعداء لسوريا الباسلة وبالنسبة إلى الشقيقة مصر أو ما زلنا على جفوة إرضاء للاستعمار التركي العائد وإيماننا أعمى بشعار رابعة العدوية؟ هل أكتب عن الديمقراطية التي لم ننفك نتبجّ بها والتي سمحت بلجان حماية الثورة التعيسة أن تدخل مجلس النواب؟ هل أكتب عن ضحالة اللغة الفرنسية التي ينطق بها العديد من نوابنا ووزرائنا وعن فساد نطقهم بها؟ غير مطلوب منهم أن يتكلّموا لغة موليير أما إذا اختاروا أن يعبروا بها فينبغي أن يتجاوزوا مستوى تلاميذ الابتدائي. ربّما أعود إلى هذه المواضيع في مقالات قادمة. أما اليوم فقد اخترت أن أخوض في مواضيع ثلاثة لا غير.

## عبير موسي في خطر

لا شك أنّ السيدة عبير موسي مجادلة مشاكسة تنغص حياة الأحراب الحاكمة في المجلس. وبكامل الموضوعية نقول إنّها تمتاز بقدرة فائقة على الخطابة والتحليل، مدخلاتها ذات منهجية ومستندات ومرجع، لا أقول غير قابلة للدحض ولكن خصومها لم يستطيعوا لها دحضا ولا مقارعتها حجّة بحجة. فلجأوا إلى الشتم الرخيص والبذاءة والفحش. ولقد حصل مؤخرا أن أشار عليها أحد زملائها الأفاضل المسبّحين

## سورة الكورونا

الآنسة آمنة الشرقي مدوّنة تونسية شابة نشرت في صفحتها نصاً هزلياً بعنوان «سورة الكورونا» في إخراج وترتيب يذكر بالسور القرآنية فأوقفت وخضعت للتحقيق لدى الشرطة ثم قاضي التحقيق أو، حسب قولها، سبعة قضاة. وقررت النيابة العمومية، إحالتها على الدائرة الجنائية الثالثة بالمحكمة الابتدائية بتونس، يوم 28 ماي 2020 لمقاضاتها بتهمة تدنيس المقدّسات. وتمّ الإبقاء عليها في حالة سراح.

ولمزيد الإيضاح أشر إلى أنّها ليست مؤلفة النصّ وإنما نقلته عن مدوّنة جزائرية هي الطيبية سناء بن ديمراد، التي قيل إنّها اعتقلت وهذا غير صحيح لأنّها تعيش في فرنسا، وقد نقلته هي نفسها عن مدوّنة جزائري اسمه جيلو يعيش أيضاً في فرنسا وهو معروف بشطحاته وهلوساته. وليس في هذا النصّ بالذات ما يمسّ بالقرآن الكريم إضافة إلى أنّه بسيط لا يرقى إلى الكتابة الأدبية. وكلنا مستغربون من سرعة الملاحقة والمقاضاة في الوقت الذي تتراكم فيه قضايا أكبر أهمية معطّلة بسبب الكورونا.

لقد أسعدتني الظروف بالتعرّف على العشرات من قضاتنا الأفاضل. كان الجلوس إليهم إمتاعاً ومؤانسة لما يتحلون به من حسّ جمالي إزاء النصوص الجيدة قديمها وحديثها ومن أريحية مثقفة في تقبل الكثير من النصوص الجريئة التي تشفع لها جماليتها وسموّ القصد من تحررها. بدءاً من أبي نواس إلى أبي القاسم الشابي مروراً بالمتنبّي والمعري ففي أشعارهم ما يقع تحت طائلة الشرع ولكن قضاة مستنيرين حسموا الأمر إذ قال أبو الحسن الجرجاني قاضي قضاة الري (933 - 1001) الكلمة الفصل بهذا الصدد: «الدين معزل عن الشعر» أي لا دخل للفقه في الإبداع الأدبي (انظر كتابه الشهير، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، ص 63).

معظم هؤلاء المبدعين قلّدوا القرآن واقتبسوا منه وضمّنوا كثيراً من الآيات في قصائدهم ولعل أشهر تضمين قول أبي نواس:

كسّر الجرّة عمداً وسقى الأرض شراباً  
قلتُ والإسلامُ ديني (ليتنّي كنتُ ثراباً)

وفي اعتقادي أنّ قضاتنا لن ينساقوا وراء طنين الذباب الإلكتروني الجاهل وقد ذهب بعضهم إلى ذبح «الكافرة» راصداً 15 ألف دينار لمن يأتي برأسها. هؤلاء المجرمون هم الذين يستحقّون الملاحقة.

ومن واجبنا أن نوّطر شبابنا الناشئ النافر من الإسلام لسوء ما يرى من نماذج ورهوط، حتّى نساعد على التفرقة بين ابن رشد وابن تيمية، ولنا عودة... ■

ع.ق.

## موتوا بغيضكم

تسلّل فيروس الكورونا إلى بلادنا واتخذت الحكومة إجراءات قاسية على الاقتصاد والعباد. حجروا حضر واقتطاع أيام عمل من مرتّبات الأجراء وابتزاز لرجال الأعمال وتسوّل لدى المجتمع الدولي. وتقبّل الجميع هذه القرارات باعتبارها ضرورات. وكلّ الشعوب الواعية تقبل التضحيات إذا تأكدت من حسن تصرف أولي الأمر منهم. إلا أنّنا فوجئنا بقرار تعيين مستشارين اثنين نهضويين كمستشارين لدى رئيس الحكومة برتبة وزير وكاتب دولة من حيث المرتبات والامتيازات. وأحسّ الناس أنّ تضحياتهم المالية آيلة إلى تمويل مثل هذه التعيينات التي لا يبرّرها سوى جشع الإخوان في اقتسام الغنيمة ومزيد تركيز عناصر التمكين تأكيدا لما صرح به المرشد إبان عودته من المنفى من أنّ الإسلاميين سيحكمون تونس طوال ربع قرن. وهناك من رأى أنّ في تعيين المستشارين، في هذا الطرف بالذات، ضرباً من قلة الحياء. وبدأ وكان الأمر قد أجّل. وهيهات.

يقول المثل: الحقيقة تخرج من فم الأطفال. بمعنى أنّ الأطفال يبوحن أحياناً بما يخفيه الكبار. وفي السياسة أيضاً كبار يخفون وصغار يكشفون. وهكذا تصرف النائبة المحترمة الموقرة جميلة الكسيكسي التي اشتهرت بنعت زميلتها عبير موسى «بالكلوشارة» كردّ حاسم مفحم على مداخلاتها المركزة. قال العقلاء في ذلك الوقت لا ينبغي لعبير أن تعطي لـ«زلة لسان» أكثر مما تستحق من الأهمية كما قالوا إنّ السيدة النائبة النهضوية لا تحسن الفرنسية وبالتالي فإنّها لا تدرك المعنى الصحيح للكلمات وقالوا أيضاً إنّها ستزن مفرداتها في المستقبل. ولم تصدق كلّ هذه التوقّعات بالرغم من أنّها منطقية.

فها هي ذي السيدة الكسيكسي تدرّ في تغريدة نشرتها ثمّ فسختها على كلّ الذين استهجنوا قرار تعيين «المستشارين» لدى رئيس الحكومة. وأريد أن أنقل بالحرف تدوينتها اللطيفة المهذّبة مع كامل المعذرة لسيبويه: «تعيين السيدان عماد و أسامة واقع ستقبلوه كرها، رجال جابوا الديمقراطية وجابتهم، اللي موش عاجبوا تونس تقع على ضفاف المتوسط اشربوا.»

هل تذكرون الداعية المرتزقة وجدي غنيم والذي يعيش اليوم في أحضان أردوغان. فلقد شرّف تونس الإخوانية بحضوره داعياً إلى تطبيق الشريعة والجهاد في سوريا وختان النساء ولما تجمهر التونسيون استنكاراً وتنديداً صاح فيهم: «موتوا بغيضكم». وبنفس المعنى يقول لنا الإخوان: «اشربوا ماء البحر». والشيء من مآتاه لا يستغرب فتلك هي أدبيات الإسلاميين وآدابهم.



# الضحك الاجتماعي والسخرية الشعبية

لم يحدث منذ أمد بعيد أن أصيب الناس بالرعب والعجز كما هو حالهم اليوم بسبب جائحة كورونا. لقد توقفت أغلب مظاهر الحياة الاجتماعية، وشلت معظم الأنشطة الاقتصادية، وصار العالم على شفا جرف هار. ووجد الإنسان نفسه محبوباً في بيته، ومحروماً من ممارسة أنشطته العادية، ومهدداً في رزقه، ومُتوجساً من محيطه المادي والبشري، وخائفاً من مصيره المجهول. في خضم هذه الأوضاع السيئة وجد أغلب الناس في وسائل التواصل الاجتماعي ملاذاً ووسيلة لقضاء شؤونهم، والمحافظة على روابطهم وعلاقاتهم، والتعبير عما يخالج ذواتهم، ولقد تميزت تفاعلاتهم ومشاركاتهم بانتشار لافت للمضامين الهزلية الساخرة.



• بقلم د. منجي الزيدي

# ضحك

هو سعي لاكتساب مناعة اجتماعية تُحصّن المناعة الجسدية المهتدة.

لماذا يضحك الناس مما يخيفهم ويرهبهم؟ مثل هذا السؤال محور التفكير الاجتماعي وبخاصة الفرد على تجنب تأثيرات القلق والخجل والشعور بالذنب، لذلك فنحن نسخر من المأسي لأننا نحتاج إلى «شيء مثل التخدير المؤقت للقلب» كما قال برغسون. ذلك هو شأن الكوميديا السوداء التي تقوم على الضحك الممزوج بمرارة البكاء.

ولقد ذهب فرويد إلى أن الهزل يساعد على ما سماه «أدخار الجهد»، فعندما يدرك الفرد أن ما سيبدله من جهد لمواجهة الخطر غير ذي جدوى، وعندما يعجز المجهود العقلائي عن فهم واستيعاب التناقضات، فإن الفرد يجنح إلى ادخار جهده بتحويل الواقع إلى مجرد مزحة ثقيلة الظل أملاً ألا تكون عواقبها وخيمة عليه. الضحك من هذا المنظور إذاً، رفض للواقع ومحاولة لتخفيف الضغط الذي يمارسه الوعي على أعلى من خلال رقابته الصارمة على مجمل الأفعال والسلوك.

وجد الناس في الضحك ملاذاً وشكلاً، وهم يلبسون الأقنعة الصحية عرضاً يشبه «الكوميديا دال لارتي»

حيث يلبس الممثلون الساخرون الأقنعة المسرحية، فكلهم يدافعون عن الحياة والأمل.

لذلك فالهزل فعل جدي وعقلائي يرتقي إلى درجة الإبداع الإنساني، وكلما ارتقى المجتمع ارتقت قدرته على الضحك، وكلما تفهقر المجتمع انتشرت فيه السخافة وبلادة الذهن وفساد المزاج كما هو حال الكثيرين من محترفي الإضحك الركيك على الشاشات عندنا. ■

م.ز.  
أستاذ تعليم عال بجامعة تونس

كثيرة عرفت بالطرافة وسرعة البديهة وسعة الخيال الساخر. ولقد لادت الثقافة الشعبية بالسخرية لمقاومة صعوبات العيش ومحاولة التكيف مع إكراهاته، فاستنبتت النكتة والشخصيات الهزلية، فأضحى لكل مجتمع جُحا وأشعب ودون كيشوت وكاركوز... ومن شابههم من الأبطال الشعبيين الساخرين، وتشكل رصيّد من البلاغة والتورية والتقية وضرب الأمثال...

واخترت القصص الساخرة التراث الشفوي عبر الأزمان، واجتازت النكت الحدود والثقافات لتشكل أدبا شعبياً عالمياً.

كما تسلح الأدباء والفنانون والصحافيون بالسخرية في مواجهة سلطة المجتمع ومؤسساته. وأدوا من خلاله وظائف التوعية والنقد والنضال مثلما كان شأن الصحافة التونسية الساخرة أيام الكفاح الوطني، وكما هو شأن صحف ومجلات ذات صيت دولي بنت خطها التحريري على النقد الساخر.

وما زال التصوير الكاريكاتوري سلاح مقاومة شعبية من أبرز شهدائه الرسام الفلسطيني ناجي العلي وشخصية حنظلة الشهيرة.

وللسخرية أمطاط وفنون، منها الشفوي والتشكيلي والسّمعي البصري، ولقد اتاحت الانفوغرافيا الرقمية المتطورة إمكانات كبيرة للتعبير من خلال التصرف في الصورة تركيباً وتعديلاً. ذلك أن الهزل هو إعادة تشكيل للواقع والأشياء بشكل يجعلها تفقد طابعها الرسمي والقهري لتصبح في تناول الانسان العادي.

والضحك فعل جماعي، إذ أنه يحتاج إلى صدى كما يقول برغسون. فضحكة المتفرج تكون أعرض كلما كانت قاعة العرض ممتلئة. والضحك الاجتماعي هو شكل من أشكال التفاعل الجماعي مع الأحداث والوضعية المشتركة. إنه رد فعل متضامن أمام تهديد يحرق بالجميع. وفي حال الجائحة الراهنة

الناس في هذه الأيام الصعبة من الفيروس الذي أربعهم وقلب حياتهم رأساً على عقب، ويسخرون من حبسهم، ويهزؤون من المخاطر التي تهددهم، ويتخذون من المأزق الذي وقع فيه العالم هزواً وسخرية، ويحولون حياتهم إلى ما يشبه المسرح الشعبي الساخر الكبير أو «الفودفيل» Vaudeville الافتراضي. ولقد تفتق الخيال الجمعي عن مواقف ووضعية هزلية ومشاهد كوميدية ساخرة، وتبادل الناس على حساباتهم وصناديق إرسالياتهم الخاصة النكت والصور والفيديوهات المرعبة، وتحولوا إلى مؤلفين ومخرجين وممثلين وجمهور عريض. الواقع أن الضحك خاصية الإنسان، كما جاء في القول المنسوب إلى فرنسوا رابليه François Rabelais. وهو من أكثر التعبيرات ارتباطاً بالذكاء البشري والتخيّل الاجتماعي كما ذهب إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون Henri Bergson الذي اعتبر أن للخيال الهزلي منطقاً يختلف عن المنطق العقلي وقد يتعارض معه أحياناً. وأن «منطق الخيال يشبه منطق الحلم، وهو حلم يحمله المجتمع بأكمله».

من هذه الوجهة الضحك فعل اجتماعي يؤدي جملة من الأدوار على ركح المجتمع. ذلك أنه يجد مادته في مشهديات الحياة اليومية التي هي سلسلة من المشاهد المسرحية على النحو الذي شرحه رائد التفاعلية الرمزية غوفمان. والضحك ليس بريئاً ولا يعتمد مقاييس أخلاقية وهو لا يتعاطف مع من يستهدهم وممن شروطه اللامبالاة.

إنه يتخذ مسافة عن الواقع ويستهدفه بالنقد اللاذع باستخدام تقنيات الذكاء الخالص.

لقد ارتبط الضحك منذ القدم بمجالات حياة الإنسان كافة. وكان وسيلة التعبير الأكثر بلاغة عن مشاغل الناس وهواجسهم وتطلعاتهم. وهو سمة ثقافية لمجتمعات





.يقدم عادل الأحمر

# يوميّات مواطن عيّاش لابس الماصك من قبل الكورونا

قال العيّاش: «هذه ماصكات عجب، تمكّنك من أن تعطي كلّ أحد الوجه الذي يحبّ: مع الناس الكبار نحط ماصك الحشمة والوقار، ومع الشباب نلبس ماصك الهيبة والقدر، باش ما يطيحش حرف الياجور ويا دار ما دخلك شرّ. وكيف تمشي للخدمة، نهز معايا ماصك الرزانة والحكمة، أما مع عرفي نستعمل ماصك المنافق: على أفكارو الكل ديما موافق، وحتى كي يبدا غالط نعطيه الحق، خايف طبعا على راسي يتشق. ومع المتفقهجين في الدين ألبس ماصك الجاهل المسكين، لأنجو من النقاشات البيزنطية، وما قد يتبعها من انزلاقات كارثية. وقد أستعمل معهم ماصك التقّي الورع، لكي لا أتهم بما أعلم ولا أعلم من البدع. أما مع أصحاب السوء والقعدات، فأضع ماصك الضحك واللامبالاة. وفي الحومة خصّصت للبعض ماصك الود والصدّاقة والحب، وخلي لي في القلب في القلب...».

ويضيف العيّاش: «وعندي زادة ماصكات، يمشي مع المناسبات: ماصك الفرّح الدايم يتلبس في الصداقات والعروضات، وماصك نلبسو كي تمشي نعزّي في الجبّانة، باش نعمل كيف الناس الكل: زعمة متأسفين حزاني. وثمة ماصك «باس يارتو» يصلح مع الناس الكل جميلة: ماصك المجاملات الاجتماعية، تستعملو في العايلة والحومة وفي مواقع العمل، ماصك باهت بارد لكن لا يكل لا يمل...». وهنا قاطعت العيّاش: «لكن هذا معناه أنك ما تنحيش الماصك أربعاً وعشرين ساعة على أربع وعشرين دون أن تستريح؟»، فردّ: «لا موش صحيح، فأنا عندما أعود مساء إلى الدار، أنزع عني كل أقتعة النهار، لأنّه من الصعب حقاً أن أمصكي على المادام والصغار».

وعلى هذه الكلمات قطع العيّاش المكاملة دون سبق إنذار، وتركني أحاطب نفسي: «شوف يا سيدي شوف، الكورونا ردت العيّاش فيلسوف». ■

ع.ل.

**مثل** سجين أعلم بيوم السراح، قفزت إلى جوّالي أقاسم العيّاش الأفراح، وأهنؤه بنهاية الحصار، بعد أن سئمنا المكوث أسابيع في الدار، رغم ما فيه من بعض الجوانب الإيجابية، كالركشة المستمرة ومتعة البطن من انبلاج الصبح إلى عقاب السهرية.

وبعد تبادل التهاني ودون مقدّمات، وجدنا أنفسنا نتحدّث في موضوع الماصكات، وكنت - كيف تجي تشوف - أنا الذي بادرت إلى طرح القضية، بعد أن قضيت اليوم كلّه من صيدلية إلى صيدلية، أبحث عن الماصكات فلا أجد لها من أثر، وإن وجدتها فكاسح سعرها مثل الحجر، فكيف لي ومثلّي من ملايين التونسيين، أن يعودوا إلى أعمالهم وهم ضد الكورونا غير مؤمّنين؟

ولما سمع العيّاش هذا السؤال، ضحك ثمّ قال: «هذا الأمر لا يهمني، والقضية ليست قضيتي»، قلت: «ألا تخشي يا صديقي الكورونا؟ أم أن دفاعاتك بقدره قادر مضمونة؟»، فأجابني بكلّ ثقة واطمئنان: «بل لأني يا عزيزي ألبس الماصك من زمان، وما انتظرت حلول هذه الكائنات اللثام، لأضع على وجهي اللثام»، فقلت: «غريب والله أمرك، إني لم أرك يوماً والماصك على وجهك»، فقال: «ماصكواني لا تری»، فقلت: «كيف؟ هل هي مثل طاقة الإخفاء؟». قال: «نعم، ماصكات ما تشوفهاش العينين، ولاهي مقدودة في أوروبا ولا في الصين».

قلت: «ومن أين تأتي إذن بهذه الماصكات السحرية؟»، فأجابني العيّاش: «إنّها محض صناعات محلية، اخترعها لنفسه كل صباح، باش نعيش بين الناس مرتاح، وهي متعدّدة الاستعمال، تتكيف في لحظة مع كلّ حال». قلت: «والله لقد شوقتني لمعرفة هذه الماصكات، فهات ما عندك هات».

دارك

# لعزیز علیک احمیہ

ب 5 طے د  
ب 5 فی الشهر\*

\* حسب مساحة الدار وقيمة الي فيها

إنت لیا و أنا لیک



# WHAT WILL BE AFTER COVID-19?



## ما الذي سيتغير بعد الكورونا في العالم وفي تونس؟

تشير كل الدراسات الطبية أن القضاء على فيروس الكورونا ليس إلا مسألة وقت، ولا يمكن لأي طرف أن يحدّد الفترة التي سيتطلبها القضاء على الفيروس ولا عدد ضحاياه، لكنّ المؤكّد أن هذا الوباء سوف يزول مع الزمن، وستجاوز البشرية خطره كما تجاوزت أوبئة وطواعين سابقة. لكنّ الأثر الذي ستركه هذا الوباء على البشرية لن يزول بنفس السرعة، بل سيستمرّ تأثيره على حياة البشرية لفترات طويلة، هذا يعني بالضرورة أن العالم الذي عرفناه قد انتهى، وأنّ عالماً جديداً سوف يولد. وقد فرضت جائحة كورونا على العالم مفاهيم جديدة أصبحت متداولة حتّى لدى أبسط الناس، كالحجر الصّحي والعزل العام واقتصاد الكورونا وغيرها من المفاهيم الجديدة، كما وضعت هذه الجائحة البشرية أمام خيارين فأما الاقتصاد وإما الإنسان، فخيار الحجر الصّحي سيحدّد من انتشار الفيروس لكنّه سيؤدّي إلى الركود الاقتصادي. لكنّ كسر الحجر سيعرض الإنسان للفيروس حتّى اكتساب المناعة المجتمعية وهذا يتطلب القبول بالتضحية بعدد من الناس مقابل استمرار الاقتصاد. وقد دفعت هذه المعادلة الصعبة بين الاقتصاد والإنسان عديد الاقتصاديين المهتمّين في العالم إلى مراجعة رؤاهم وتصوّراتهم للاقتصاد ما بعد الكورونا.



• بقلم رضا الشكندالي

والسلع حماية لمواطنيها وهذا يعني بالضرورة أن العولمة تفتت ولم تعد تحكم العالم كما كانت في السابق وكأن عالما جديدا سوف يولد. فالهلع والخوف من الموت خلق نوعا من اهتزاز الثقة في العولمة، في قدرتها على تأمين حياة الناس وقوتهم حيث وجدوا أنفسهم بين معادلة صعبة، فإما البقاء في بيوتهم لتأمين حياتهم أو التنقل إلى عملهم لتأمين قوتهم ولا يمكن تحقيق الاثنين معا بدون تكفل الدولة بالقوت مقابل الحياة وهو ما يتعارض مع المبادئ الأساسية للعولمة ذاتها والتي تقوم على السيادة الدولية عوضا عن السيادة الوطنية.

وقد أنتجت العولمة حالة من التوتر قبل الكورونا وخاصة خلال السنوات القليلة الماضية، حيث كان العالم ينتظر أزمة اقتصادية عالمية جديدة أو حربا عالمية ثالثة. وقد سرّعت جائحة الكورونا أزمة الثقة في العولمة بل ضربتها في الصميم وعصفت بأساسياتها التي حسبتها البشرية، منذ سنوات طويلة، صلبة وعصية على الاهتزاز. ولعل الجانب الاقتصادي الأهم من العولمة، والذي شمله هذا الاهتزاز في الثقة، اتفاقيات التجارة الحرة وإزالة القيود الجمركية وغيرها ضد حركة الأشخاص والسلع. وقد كانت الحرب التجارية الصينية الأمريكية بداية ضرب اتفاقيات التجارة الحرة وذلك بفرض قيود جمركية على السلع الصينية، كانت السبب الرئيسي لتراجع المبادلات التجارية العالمية والتي أثرت سلبا على النمو العالمي. ولم تكن جائحة الكورونا إلا القطرة التي أفاضت منسوب الشك في أهم المبادئ للعولمة وبالتحديد في حرية التجارة العالمية.

ولقد تجلّت العولمة في أبهى مظاهرها عبر سلاسل التوريد العالمية وتقسيم مصدر الإنتاج على أكثر من بلد للاستفادة من اليد العاملة الرخيصة وتقليل التكلفة العالية في البلدان المتقدمة وهو ما جعل العالم أكثر ترابطا واندماجا. وقد اندمجت الصين في سلاسل التوريد العالمية وأصبحت تحتل الحصة الأكبر فيها في بعض القطاعات كأجزاء المعدات الكهربائية والسيارات (من 33% إلى 53% من الناتج العالمي) والمعادن الأساسية (52%) والمنتجات المعدنية والمنسوجات والملابس والجلد بالنسبة إلى بعض السلع (58%) والأخشاب والمنتجات الخشبية (40%) والأدوية (35%) خاصة وأن تصنيع هذه السلع في الصين لا يتطلب تكلفة كبيرة كما هو الحال في أوروبا أو في أمريكا. فالصين تستورد مواد خاما وتصنع عندها وعند غيرها من البلدان ثم تصدّر إلى عديد الدول حتى إلى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في القطاع الطبي والأجهزة الالكترونية وقطع الغيار وغيرها من المواد. وقد قطعت الصين أشوطا كبيرة لفرض هيمنتها على العالم خاصة في تقنية الجيل الخامس ومدها لطرق الحرير ليربطها بالعالم واختراقها للسوق الإفريقية.

وخلافا للصين، لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الانغلاق برفعها لـ«شعار أمريكا أولا» وفرضت رسوما على السلع الصينية والأوروبية وأجبرت عديد الشركات الأمريكية الكبرى لجلب مصانعها داخل أمريكا، وهو اتجاه معاكس تماما للعولمة. وقد سرّعت جائحة كورونا هذا التوجّه نحو الانغلاق في أمريكا وفي بقية الدول في العالم، إذ فرضت على مواطنيها حجرا صحيا وعلى

أطلق الاقتصادي الفرنسي، جاك أتالي، صيحة فزع ضدّ المبالغ الخيالية التي تضخّها الحكومات من أجل إنقاذ الاقتصاد من تداعيات أزمة الكوفيد19-، مبيّنا أنّ التدخّل يمثل هذه المبالغ على حساب الأجيال القادمة لن يكون مقبولا إلا إذا كانت نتائجه مؤكّدة، وهو غير ممكن إلا إذا حدّدنا أولويتين. الأولوية الأولى، على المدى القصير، للقاح أو للدواء، إذ لا بدّ أن تتوجّه هذه المبالغ إلى إنتاج اللقاح الذي سيوقف هذا الوباء، وبغير اللقاح أو الدواء لا يمكن إيقاف نفثي هذا الفيروس وكلّ كسر للحجر الصحيّ قبله سيكون وبالاً على صحّة الإنسان إذ سيستمرّ هذا العزل لسنوات أخرى وفي أجزاء كبيرة من العالم. أمّا على المدى الطويل، فلا بدّ أن تكون الأولوية لما يمكن أن نسمّيه بـ«اقتصاد الحياة» والذي يعتمد أساسا على قطاعات الصحّة والنظافة والغذاء والتعليم والبحث والطاقة النظيفة والتوزيع والأمن والثقافة الرقمية والمعلومات.

فالعالم ما بعد الكورونا لن يكون كما كان وسيشهد تحولات عميقة، لعلّ من أهمّها إعادة النظر في جدوى العولمة أمام العودة للسياسات الحمائية وسياسات العزل العام. كما سيشهد العالم ظهور قوى جديدة تنزعّم العالم ما بعد الكورونا في ظلّ فشل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في وقف انتشار الوباء وظهور النزعة القومية في بعض الدول الأوروبية أمام تراجع المدّ التضامني الدولي و بروز المدّ التضامني الداخلي. وأمّا الاضطراب في سلاسل التوريد العالمية، سيكون الغذاء والدواء من أوكد الأولويات في استراتيجيات التنمية القادمة لعديد الدول في العالم.

أما في تونس، فستفرض أزمة الكورونا تغييرا جذريا في المنوال الاقتصادي القائم في تونس على القطاع العام والقطاع الخاص نحو منوال أكثر إدماج وسيكون القطاع الثالث من أبرز فاعليه. كما سيكون القطاع الصحيّ أكثر صلابة وإنصافا للمناطق الفقيرة والمهمّشة وستقوى صناعة الأدوية إذ ستتمكّن من تلبية أغلب الاحتياجات الداخلية وبفضل التوجّه نحو الرقمنة، ستتمكّن تونس من استهداف أفضل للدعم وللتحويلات الاجتماعية ومن التقليل في حجم الاقتصاد الموازي. كما سيفرض القطاع الفلاحي نفسه كقطاع استراتيجي هام في مخطّط التنمية القادم لتونس وسيتوجّه البحث العلمي نحو تطوير الفلاحة والصحة.

1) اهتزاز الثقة في جدوى العولمة : بحسب صندوق النقد الدولي، فإنّ العولمة تعني التعاون الاقتصادي لدول العالم عبر زيادة حجم تبادل السلع والخدمات وتدقّق رؤوس الأموال بين الدول، وانتشار التكنولوجيا في مختلف أنحاء العالم ممّا يجعل من العالم قرية صغيرة تؤمّن فيها حرية الانتقال للأشخاص والمنتجات ورؤوس الأموال والتكنولوجيا. وبالرغم من أهميّة العولمة في تنمية التعاون بين الدول، إلا أنّها لم تكن من إيجاد حلول لعديد الظواهر التي أحدثتها بنفسها كالتلوّث البيئي والاحتباس الحراري والجريمة المنظمة والإرهاب. ومع سرعة انتشار هذا الفيروس، فرضت كلّ دول العالم قيودا على تدفّقات الأشخاص

في قادم الأيام وأن الصين بدأت تتعافى من الفيروس بينما لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من التخلص من الفيروس في عدد ضحاياها، فمعناه أن وضع الصين اقتصاديا واستراتيجيا سيكون أفضل من أمريكا. فكل المعطيات تشير إلى أن الصين ستستعيد عافيتها قبل جل بلدان العالم، فهذا قد يؤدي إلى معدلات نمو أفضل مقارنة ببقية الدول، وقد تعود التجارة والصناعة الصينية التي يحتاجها العالم قريبا إلى العمل، وستبدأ الصين في تزويد العالم بما يحتاجه من أدوات وتجهيزات طبية كالأقنعة وأجهزة التنفس وغيرها من الأجهزة الطبية الضرورية لإنقاذ الأرواح البشرية، وسيتم الطلب العالمي من الأدوية والمعدات الطبية على المصانع الصينية ليأخذ منها ما يستطيع. وبهذا ستكسب الصين ثقة العالم مما يمكنها من استعادة مكانتها الاستراتيجية وسيكون الطلب العالمي من أهم محركات اقتصادها. كما أن التعافي التدريجي من الفيروس في كوريا الجنوبية وسنغافورة بشكل أفضل من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، سيسرع في تحول السلطة والنفوذ من الغرب إلى الشرق.

وفي الحقيقة، هذا التحول في قيادة العالم ظهر حتى قبل الكورونا، إذ حسب التصنيف الدولي للنتائج الداخلي الخام (تكافؤ المقدرة الشرائية)، فإن الصين تمكنت من مضاعفة إنتاجها بـ 39 مرة خلال 59 سنة بينما لم تتمكن الولايات المتحدة من مضاعفة إنتاجها إلا بـ 5 مرات فقط. وبهذا تفتك الصين من الولايات المتحدة ريادة العالم من حيث حجم الثروة.

1960	2019	2040
3,332	18,250	31,786
1,243	3,600	5,230
1,035	3,746	5,582
703	2,698	4,522
605	23,744	43,980
511	2,569	4,128
496	2,100	2,974
9,724	22,339	
425	4,984	6,794
150	3,198	6,480

هي الدولة الوحيدة التي يمكنها مساعدة صربيا. هذه مؤشرات دالة على فشل الاتحاد الأوروبي في مواجهة الأزمة داخله. وبسبب هذا التعثر، تتجه الدول الأوروبية الكبرى إلى الانغلاق على الذات، والتركيز على مواجهة تفشي الفيروس داخل أراضيها، وعدم تقديم المساعدة والدعم للدول الأكثر تأثراً بانتشار كورونا.

ومن الواضح أن أوروبا أصبحت في مأزق كبير، وهي التي عانت من أزمات اقتصادية متعددة في السنوات الماضية، فاقتصادها لم يتعاف بشكل كامل منذ الأزمة المالية العالمية لسنة 2008. وزادت أزمة الديون السيادية،

مؤسساتها توقفا على النشاط ثم أغلقت حدودها بالكامل. وقد تعطل النشاط الاقتصادي في العالم وفقد ملايين العاملين وظائفهم وهو ما قد يتسبب في ركود اقتصادي لم يحدث له مثيل خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

(2) تغيير في قيادة العالم : لن تكون المقاييس نفسها التي ستصنف العالم في ما بعد الكورونا، بل المقياس الأهم هو القدرة على حسن إدارة أزمة الكورونا من نسبة وفيات منخفضة أو نسبة تعافي عالية. فالدول التي ستخرج منتصرة من أزمة الكورونا هي التي ستفقد العالم حيث أن التاريخ يكتبه المنتصرون. فالدول التي ستخفف من حجم الخسائر البشرية والاقتصادية في هذه الفترة من العزل العام، ستتمكن من صدارة العالم. أما الدول التي ستتكبّد خسائر مادية وبشرية كبيرة ولا تملك من الموارد المالية ما يمكنها من إعادة البناء، فهي ستهاوى.

وقد تجاوز عدد ضحايا فيروس كورونا في الولايات المتحدة الأمريكية أعداد قتلى الجيش الأمريكي في حرب فيتنام حيث تجاوز عتبة الستين ألفا، وهو ما لا يمكن الإدارة الأمريكية من التفكير في مد يد المساعدة إلى بقية الدول المتضررة، بل بالعكس لجأت في بعض الأحيان إلى السطو على إمدادات الدواء والكمّات لبعض الدول المتضررة بينما ذهبت الصين في مساعدة عديد الدول المتضررة من خلال تقديم المساعدات وتوجيه بعض الفرق الطبية للعمل في الدول الأكثر معاناة من انتشار كورونا مثل إيطاليا وصربيا. وإذا افترضنا أن هذا المنحى سيتواصل

الناتج الداخلي الخام (تكافؤ المقدرة الشرائية) بالمليار دولار	الولايات المتحدة الأمريكية	روسيا	ألمانيا	انكلترا	الصين	فرنسا	إيطاليا	الهند	اليابان	اندونيسيا
								451		

كما أن الهند واندونيسيا تمكنتا من مضاعفة إنتاجهما بأكثر من 20 مرة خلال الفترة 1960 - 2019 وهو ما يمكن هذين البلدين من تبوء مراتب متقدمة على مستوى حجم الثروة في العالم. بينما تراجع جل البلدان الأوروبية الشريكة لتونس مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ولم تتمكن من مضاعفة ثروتها إلا بـ 4 مرات على أقصى تقدير خلال نفس الفترة.

(3) تعثر الاتحاد الأوروبي وفشله في إدارة الأزمة : وجه الإيطاليون انتقادات كثيرة للاتحاد الأوروبي ووصف رئيس الوزراء الإيطالي الدعم الأوروبي لبلاده بالسوء وأثنى على مساعدة الصين. كما أن الرئيس الصربي اعتبر أن الصين

LE TIVOLI COMME VOUS  
NE L'AVEZ JAMAIS VU !



[www.ssangyongtunisie.com](http://www.ssangyongtunisie.com)



**TIVOLI**  
**EXPRESS YOURSELF!**

 [SsangYongTunisie.Officielle](https://www.facebook.com/SsangYongTunisie.Officielle)

**AUTOMOBILES ZOUARI**  
CONCESSAIRE / SAJ VEHICULES DE TOURISME

**TUNIS** - Rte de Sousse, GP1 Km7 2033 - Mégrine  
Tél. : (+216) 70 130 070 - 70 130 060  
Fax : (+216) 71 425 253

**SFAX** - Rte de Gabes, bvd de l'environnement, Km 2,5 - Sfax  
Tél. : (+216) 70 130 020  
Fax : (+216) 74 281 020

**SOUSSE** - Rte de ceinture, 4022 Z.I. Akouda - Sousse  
Tél. : (+216) 70 130 040 - 70 130 050  
Fax : (+216) 73 343 233

**GABES** - Rte de Tunis Km 0,5 BP 31 - 6001 Hached Gabès  
Tél. : (+216) 70 130 090  
Fax : (+216) 75 274 151

كذلك فإن إجراءات العزل العام بسبب فيروس كورونا قد يعرقل بعض المزارعين ويجعلهم غير قادرين على جني محاصيلهم الزراعية أو على توصيل منتجاتهم إلى المستهلكين. عدم اليقين الذي تسببت فيه هذه الجائحة ستجبر عديد الدول في العالم على تفضيل احتياجاتها الداخلية من الغذاء وبالتالي سيكون الاكتفاء الذاتي في الغذاء أو الأمن الغذائي، الهدف الأول للحكومات ما بعد الكورونا.

كما أن المخاوف من عدم قدرة النظم الصحية على استيعاب أعداد المرضى المتزايد أمر قناعة لدى الحكومات أن الأمن الصحي من أوكد الأولويات. وقد كان الاعتقاد سائداً، قبل الكورونا، أن البشرية محصنة ضد الوباء وأن زمن الطواعين قد ولى واندثر. فأنفقت الحكومات أموالاً طائلة في السلاح وفي الصواريخ وفي اكتشاف الأجرام السماوية، ونسيت أن تنفق بعض هذه الأموال على ما يمكن أن يهدد صحة الإنسان من أمراض وطواعين. وبانتشار فيروس كوفيد-19، توجهت كل الحكومات في العالم إلى مقاومته عبر توفير كل الموارد الضرورية للقطاع الصحي حتى ينتصر على هذا الوباء. هذا التوجه الاضطراري نحو الاهتمام بالقطاع الصحي خلال أزمة الكورونا، سيسهل الهدف الأهم في استراتيجيات التنمية لما بعدها.

(6) تونس، بعد الكورونا: قطاع صحي صلب وصناعة قوية للأدوية مع التقدم في رقمنة الاقتصاد :

• تغيير في المنوال الاقتصادي القائم على القطاع العام والقطاع الخاص: يعتمد المنوال الاقتصادي القائم في تونس على تراجع حصّة الدولة في الناتج الداخلي الخام وخاصّة في أنشطة الخدمات الاجتماعية لصالح القطاع الخاص والذي أنتج نوعية سيئة للخدمات الصحية التي يوفرها القطاع العام وأسعاراً عالية لهذه الخدمات في القطاع الخاص. وفي تونس، أظهر المنوال التنموي المتبع الى حد الآن قصوراً في معالجة المسألة الاجتماعية، وهو ما يتجلى حالياً في عديد الأزمات التي يشهدها الاقتصاد التونسي من تراجع في جودة خدمات الصحة والتعليم والنقل والتغطية الاجتماعية ومن أزمة مالية خانقة تشهدها مؤسسات الضمان الاجتماعي وهو ما استحال حلّه من طرف المنوال الاقتصادي القائم على القطاعين العام والخاص. فأزمة الكورونا التي تعيشها تونس ستفرض تغييراً جذرياً للمنوال القائم على الديون وعلى الضرائب، ممّا يقتضي تعويضه بمنوال تنموي إدماجي يعتمد على القطاع الخاص والقطاع العام وكذلك على قطاع الاقتصاد الاجتماعي والتضامني، إذ يمكن هذا المنوال من تخفيض العبء المالي على الدولة بدون اللجوء الى الزيادة في الضرائب ولا في الديون ويمكن كذلك المواطن التونسي من الولوج إلى الخدمات الاجتماعية بتكلفة دنيا تتماشى ومقدرته الشرائية.

• القطاع الصحي سيكون أكثر صلابة : الأزمة الحالية ستقوّي من مناعة القطاع الصحي وتجعله أكثر صلابة وأكثر إنصافاً للجهات المحرومة حيث لم يتمتع هذا القطاع منذ سنوات بما تتمتع به أثناء الأزمة من تضافر كل الجهود الوطنية من أجل مكافحة هذا الوباء. وقد مكّن الفيروس من تعرية النظام الصحي في تونس وأظهر مكامن ضعفه وانحصار أهم مرافقه في الجهات الساحلية للبلاد التونسية بينما تشتكي أغلب مناطق الجنوب والغرب من قلة الإمكانيات بسبب سنوات طويلة من التهميش لهذه المناطق. فالمستشفيات الجامعية منحصرة في خمس مناطق ساحلية وبالتحديد في تونس العاصمة وسوسة والمنستير

والتي ضربت خاصة اليونان وإيطاليا والبرتغال وإسبانيا، في تعميق الأزمة الاقتصادية في أوروبا. وهاهي اليوم تعيش أحلك فتراتها وهي غير قادرة على السيطرة على انتشار الفيروس خصوصاً في إيطاليا وفرنسا. وتبقى ألمانيا، الاستثناء من بين الدول الأوروبية الشريكة لتونس بقدرتها على حسن إدارة الأزمة الحالية وسيطرتها على تفشي فيروس الكورونا بفضل قوة اقتصادها ونظامها الاجتماعي المختلف تماماً عن الأنظمة الأوروبية الأخرى والمعتمد على الرأسمالية الاشتراكية أو الليبرالية المنظمة.

(4) تصاعد النزعة القومية : منذ الأزمة المالية العالمية لسنة 2008 والتي ضربت بالخصوص أوروبا، أصبحت النزعة القومية واضحة للعموم وقد زادت وضوحاً مع بروز أزمة اللاجئين في السنوات الأخيرة بوصول أحزاب يمينية متطرفة إلى سدة الحكم في بعض الدول الأوروبية. وقد كشفت أزمة الكورونا الحالية عن مزيد تصاعد النزعة القومية مع توجه الدول الأوروبية إلى غلق الحدود وتفضيل حاجيات مواطنيها على حاجيات بعض الدول الأوروبية الأخرى من أساسيات الحياة وخاصّة من الأدوية والأغذية. هذه النزعة القومية، والتي ظهرت جلياً خلال الأزمة الحالية، ستهدد الاتحاد الأوروبي في كيانها. وما التصاريح الأخيرة لرؤساء إيطاليا وصرخا وإقدام البعض في فرنسا على إنزال العلم الأوروبي وتعويضه بالعلم الفرنسي إلا صورة من صور الأنازية القومية. فالشعارات التي رفعت خلال أزمة كوفيد-19، كإيطاليا أولاً أو إسبانيا أولاً أو اليونان أولاً ستفضّل النزعة القومية على الانتماء الأوروبي. وقد تمتد هذه النزعة لتشمل المهاجرين الذين يقطنون في أوروبا وهو ما قد يؤثر على طبيعة السياسات الأوروبية الخاصة بالهجرة وعلى علاقة أوروبا بشركائها التجاريين.

وقد أنتجت هذه الأزمة قناعة تامة لدى عديد الدول في العالم أن الطريق الأمثل لمواجهة الأزمة هو الاعتماد على الذات بما أن الآليات المعتمدة للتعاون الدولي أصبحت غائبة وأن الدولة القوية هي التي تمكّنت من فرض إجراءات الوقاية من انتشار الفيروس قبل غيرها عبر إغلاق حدودها. وما أن كل الدول مجبرة لاتخاذ نفس القرار وفرض مراقبة مشددة على حركة الناس بفرض الحجر الصحي عليهم، فإن العالم كله سيدخل في وقت متزامن في حالة من الجمود والانعزال، وهو ما يتطلب التغيير في آليات تمويل التنمية والاعتماد أكثر ما يمكن على الموارد الذاتية.

(5) الأمن الغذائي والأمن الصحي أولى الأولويات : حذر البنك الدولي من أن فيروس كورونا المستجد، والسياسات الحكومية للحد من انتشاره، يمكن أن يعطل سلاسل الإمداد الغذائية وقد يهدد توافر المواد الغذائية لدى عديد الدول في العالم.. كما نبهت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة من التدايعات الممكنة لانتشار هذا الفيروس على 53 بلداً في العالم تضم 113 مليون شخص يعانون من الجوع الحاد وقد تؤدي هذه الجائحة الى أزمة مجاعة لم تعرفها البشرية من قبل. وبالرغم من أن إمدادات الحبوب الرئيسية وفيرة عالمياً، إلا أن بعض الدول المنتجة، مثل روسيا، قد تلجأ إلى وضع قيود على مبيعاتها الخارجية لإعطاء الأولوية للإمداد المحليّ الفحواجز أمام حرية تجارة الأغذية تعيق سلاسل إمدادات الغذاء العالمية وقد تؤدي إلى تقلبات كبيرة في أسعار الغذاء في الأسواق العالمية. وتأتي هذه القيود في الوقت الذي تسعى فيه كبرى الدول المستوردة للغذاء إلى تعزيز احتياطياتها من خلال زيادة المشتريات من الخارج.

المُنظمة. كما ستمكّن الرقمنة للعائلات الفقيرة والمهمّشة من حصر عدد هذه العائلات وستساعد على توجيه الدعم والمساعدات لمستحقّيها ممّا سيقلّص من تكلفتها في موازنة الدولة. هذا التوجّه نحو الرقمنة خاصّة في الخدمات الاجتماعية سيسهم في تحسين جودتها وسيساعد على مكافحة الفساد حيث أثبتت الدراسات الاقتصادية أنّ الدول التي قلّصت من استعمال النقود الورقية ولجأت نحو النقود الرقمية هي التي نجحت أكثر من غيرها في التقليل من الفساد.

• القطاع الفلاحي سيكون القطاع الاستراتيجي الأهمّ: الفلاحة في تونس تعيش صعوبات جمة بالرغم من إسهامها المتميّز في نسب النموّ الحاصلة وفي الحدّ من تفاقم العجز التجاري في تونس. لكنّ عزوف الشباب، وخاصّة المتعلّم منه، عن الاستثمار في القطاع الفلاحي وتدنيّ المستوى التعليمي للفلاحين وتشتت الأراضي الفلاحية لم يَمكّن الفلاحة من تحقيق الاكتفاء الذاتي الغذائيّ في عديد المواد. لكنّ تعطلّ سلاسل التوريد الغذائية العالمية من جراء أزمة الكورونا وصعوبة جني المحاصيل الزراعية خاصّة في البلدان المنتجة للغذاء قد يضع قيودا جديدة على توريد الغذاء وقد يسهم في ارتفاع أسعاره العالمية وهو ما قد يدفع الحكومة التونسية الى القطع مع السياسات السابقة في دعم المواد الغذائية والتوجّه مباشرة نحو دعم الفلاح من أجل الوصول الى الاكتفاء الذاتي خاصّة في المواد الفلاحية.

• البحث العلمي سيهتمّ أكثر بتطوير الفلاحة والصحة: لعّل من أهمّ التداعيات الإيجابية لفيروس الكوفيد-19- أنّه أعاد الحياة للبحث العلمي في تونس. وبعد سنوات من الركود ومن الإنتاج العلمي البعيد عن اهتمامات الواقع التونسي، وضعت عديد مخابر البحث إمكاناتها وأبحاثها تحت تصرّف وزارة الصحة من أجل توفير المعدادات الطبيّة الضرورية لمقاومة الفيروس. كما تمكّن بعض الشباب المبدعين من اختراع ربات للاستعمال الطبيّ أو لفرض الحجر الصحيّ وأعلن عديد الباحثين والمهندسين أنّهم في مراحل متقدّمة لتصنيع معدادات الحماية الشخصية في المستشفيات العمومية وتصنيع الأقنعة والكمّامات من خلال الطباعة ثلاثية الأبعاد. لكن لا تزال نسبة الإنفاق في البحث العلمي في تونس ضعيفة ولا تتجاوز 0.1% من الناتج المحليّ الإجمالي. وتتكوّن منظومة البحث العلمي من مخابر ومؤسسات بحث مشتتة تابعة لعدد الوزارات، بعضها تشرف عليه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والبعض الآخر تحت إشراف وزارة الفلاحة والصيد البحري والموارد المائية أو وزارة الصحة. ولا يربط بين مؤسسات البحث العلمي خيط ناظم، إذ تتولّى كلّ مؤسسة بحوثها دون أيّ تنسيق مع المؤسسات الأخرى والحال أنّ البحث العلمي منظومة متكاملة لا تفصل بين التخصصات العلمية، بل تعتمد على التكامل بين كلّ هذه التخصصات. فالأزمة الحالية التي تحكم العالم هي أزمة صحيّة بالأساس، لكنّ ادعائها اقتصادية واجتماعية وحتى نفسية ولا بدّ من التعاون بين مخابر البحث في شتى الاختصاصات حتّى يقع الإلمام بأزمة الكورونا من جميع جوانبها. وحتى تتأقلم منظومة البحث العلمي مع التحوّلات القادمة، سيفع الاهتمام بالبحث العلمي الفلاحي من أجل تخفيض كلفة الفلاح وتحسين مردوده، فمستلزمات الإنتاج الفلاحي في تونس جُلها مستوردة من الخارج. فالبحث العلمي الذي يَمكّن من إنتاج المستلزمات الفلاحية في تونس سيسهم في التقليل من خطر الاضطراب الذي تشهده سلاسل التوريد العالمية وهو ما يَمكّن من تأمين الغذاء لكلّ التونسيين. ■

ر.ش.

أستاذ الاقتصاد بالجامعة التونسية

والمهدية و صفاقس و 79% من أطباء القطاع العام يشتغلون في مناطق تونس الكبرى و الشمال و الوسط الشرقي، ولا تحظى مناطق الشمال و الوسط الغربي إلا بـ 12% من عدد أطباء القطاع العام و مناطق الجنوب بـ 9% فقط. أمّا في القطاع الخاص، فتوزيع أطباء هذا القطاع على الجهات يظهر مقدار الحيف الاجتماعي الذي تتعرّض له المناطق الغربية و الجنوب و الذي لا يضمّ غير 16% من عدد أطباء هذا القطاع بينما يتركز 84% منهم في المناطق الشرقية للبلاد التونسية و خاصّة في منطقة تونس الكبرى (41%). فالموصلة في هذا التوزيع غير المنصف للمرافق الصحيّة و عدد الأطباء لن يساعد السلطات التونسية على إيقاف انتشار الوباء عبر مختلف مناطق الجمهورية وهو ما أوجب وزارة الصحة على مزيد الاعتناء بهذه المناطق عبر توفير مستلزمات النجاح لإيقاف انتشار هذا الوباء. فالإمكانيات المالية الإضافية توفّرت و بمبالغ محترمة و في أشكال متعدّدة من تبرّعات و قروض و التضامن بين مكونات المجتمع المدني و القطاع العام و الخاص أصبح واقعا ملموسا. كما أظهرت الحكومة التونسية خلال الأزمة استعدادا غير مشروط لتوفير كلّ الإمكانيات المالية لتأمين النشاط الاقتصادي و الاجتماعي. فكلّ الظروف أصبحت متوفّرة في تونس لإعادة هيكلة ميزانية الدولة في مخطّط الإنعاش القادم نحو الترفيع في ميزانية وزارة الصحة حتى تهيأ لنا نظاما صحيا صلبا و منصفا و قادرا على مجابهة أزمات صحيّة قد تهدّد البشرية في قادم السنوات

• صناعة الأدوية ستلبي أغلب الاحتياجات الداخلية: بدأت تونس في الثمانينات كأول بلد أفريقي يصنّع الأدوية في تلك الفترة و تطوّر عدد وحدات التصنيع من 3 وحدات في سنة 1990 الى 42 وحدة إنتاج دواء بشري سنة 2018 ما يغطّي تقريبا 62% من الاستهلاك الوطني للدواء، وهو مؤشر جيّد لكنّه غير كاف لمجابهة حالة الانغلاق و تعطلّ سلاسل التوريد العالمية و توجّه أغلب الدول المنتجة إلى تخزين كميات هائلة من الدواء لديها لمجابهة انتشار الفيروس. فالإكتفاء الذاتي من الأدوية سيفرض نفسه كهدف أساسي لاستراتيجيات التنمية القادمة في تونس. ولعلّ المخطّط القادم لتونس أو ما تسمّيه الحكومة التونسية «مخطّط الانعاش الاقتصادي» لما بعد الكورونا سيكون من أهمّ أهدافه تحقيق الاكتفاء الذاتي من الأدوية أو على الأقلّ من الأدوية الأساسية و ذلك لمجابهة التحوّلات العالمية التي قد تحدث بعد الكورونا من جِراء السياسات الحمائية التي يمكن أن تلجأ إليها الدول المنتجة للدواء و التي قد تتسبّب في غلاء أسعار هذه المواد في السوق العالمية.

• الرقمنة ستمكّن من استهداف أفضل للتحويلات الاجتماعية و من التقليل في حجم الاقتصاد الموازي: فرضت أزمة الكورونا في تونس التصرف الجيني لتنزيل الإجراءات التي اتخذتها الحكومة التونسية خاصّة فيما يخصّ إيصال المساعدات للعائلات المعوزة و المؤسسات المنتهية في الصغر. وفي ظلّ تواصل إجراءات فرض الحجر الصحيّ، أصبح من المستحيل إتمام البرامج الجامعية حضوريا في كلّ المؤسسات وهو ما فرض على الأساتذة اللجوء الى التقنيات الحديثة للتعليم عن بعد. فانخرط أغلب الأساتذة في هذا الخيار و أصبح التعليم الجامعي عن بعد واقعا ملموسا بعد أن كان حلما من أحلام الماضي. وقد مكّنت عديد المؤسسات الاقتصادية و الإدارات العمومية بعضا من موظفيها للاشتغال عن بعد كما يحدث في عديد الدول المتقدّمة. كما فرضت الجائحة على الحكومة التونسية استعمال آليات الدفع الإلكتروني لتفادي الاكتظاظ أمام مكاتب البريد تجنبا للعدوى. وقد ساعدت التكنولوجيات الحديثة على التعرف عن قرب على بنك المعطيات التي تخصّ الفاعلين الاقتصاديين في القطاع الموازي و المتكوّن أساسا من المهن الصغرى و المؤسسات المنتهية في الصغر وهو ما سيساعد على إدماج هذا القطاع في الأطر



# الفراولو... ارتفعت أسعاره فترجع على عرش الغلال في شهر الصيام

ثمرة الفراولو مردّه المذاق العذب لهذه الحبة السحرية والذي تلتقي فيه الحلاوة الهادئة بخيط رفيع من الحموضة تكتنفها رائحة مميزة لا تزيد الجائع إلا تضرعا.

زراعة الفراولو لم تكن في الأصل نمط إنتاج فلاحى وتشير المعطيات التاريخية إلى أن هذه الحبة قد ظهرت في بداية الستينات بمنطقة وشتاتة من ولاية جندوبة بصفة طبيعية وتمّ التعاطي معها كثمار غريبة يتمّ تجميعها كلما احمرت وطاب مذاقها. وما إن علم فلاحو الوطن القبلي بخير هذه الثمرة السحرية الجديدة حتى بدأوا رحلة البحث عن مصدرها إلى أن عثروا على آثارها في إيطاليا وإسبانيا حيث يتمّ إنتاج المشاتل وتتمّ زراعتها لتصبح في بضع سنوات تقليدا زراعيا اختصت به ولاية نابل على مساحات صغيرة ما فتئت تتطور من سنة إلى أخرى.

**عرفت** أسعار الفراولو خلال شهر رمضان ارتفاعا «مشطا» بالنسبة إلى الكثير من التونسيين بعد أن وصل سعر الكغ الواحد إلى نحو 5 دنانير فاحتلّ ترتيب الغلال الموسمية وتصدر عرشها سلطانا للغلال. أسعار اعتبرها البعض مشطة وأكد كثيرون أنها أسعار عادية خاصة وأنها مرتبطة بقاعدة العرض والطلب وبتكلفة الإنتاج والجمع.

الإقبال على الفراولو يفسرّه المختصون بجاذبية ألوان الحبة التي انتقت من كل درجات اللون الأحمر وشاحا فهذه أقرب إلى الأحمر الشهواني وتلك إلى الأحمر الياقوتي وأخريات التفت في الأحمر الفارسي أحيانا أو في البندقي أحيانا أخرى. حبات حمراء يغشوها لمعان ازدانت ببعض النقاط السوداء الخفيفة وجعلت فوق رأسها تاجا أخضر لم يزددها إلا شموخا. ويؤكد آخرون أن الإقبال على



• بقلم محمد الرايس التوكاري



أو يتم المضاربة بشمارهم التي توجه إلى أسواق الجملة فتبقى في الانتظار إلى أن يجد الفلاح نفسه مجبرا على بيعها بأبخس الأثمان خوفا من خسرانها بعد طول انتظار .

موسم الفراولو هو من المواسم الفلاحية المتميزة بولاية نابل والقطاع هو من القطاعات الواعدة إلا أن اختيار هذا النشاط الفلاحي يحتاج إلى رباطة جأش خاصة وأن تكلفة الإنتاج جد باهضة وأن الخسارة واردة إذا ما غابت مسالك الترويج زد عليها أن الوصول «بالغرس» إلى مرحلة الإنتاج كما يقول فلاحو الوطن القبلي يحتاج إلى عمل متواصل على طول السنة وإلى إيلاء عناية خاصة بالنبتة خاصة لحمايتها من برد الشتاء فلا غرابة «إذا ارتفعت أسعار الفراولو واقتربت من نصف سعر الغلال المستوردة»<sup>1</sup>

م.ات

من معتمدية قرية التي تساهم لوحدها بنحو 60 بالمائة من الإنتاج الوطني.

يقول العم الحبيب بخصوص ارتفاع أسعار ثمار الفراولو «إن سعر الكغ الذي يبيعه الفلاح هذه الأيام بين 3 و 3 دنانير ونصف لا يعد مشطاً» مفسراً ارتفاع الأسعار بعدة أسباب من بينها بالخصوص ارتفاع تكلفة الإنتاج التي تصل إلى 60 ألف دينار للهكتار الواحد زد عليها أجرة العملة الذين يقومون بعملية جمع الثمار والتي تتراوح بين 25 و 35 دينارا للعامل الواحد بالإضافة إلى عملية نقل المنتج إلى أسواق الجملة. ولاحظ أن عديد الفلاحين خيروا ترويج منتوجهم مباشرة بالقرب من ضيعاتهم أو بعدد نقاط البيع من المنتج إلى المستهلك بجانب عديد الطرق الرابطة بين معتمديات الوطن القبلي وذلك لتفادي المضاربة ببضاعتهم فتباع للمستهلك بأضعاف وأضعاف

انطلقت تجربة زراعة الفراولو بجهة قرية والقرى المجاورة لتتطور مع مرور السنوات ولتصل اليوم المساحات الجمالية بولاية نابل إلى 550 هك بما جعل الجهة عاصمة للفراولو خاصة وأن إنتاجها يمثل 90 بالمائة من الإنتاج الوطني.

يقدر إنتاج ولاية نابل من الفراولو بالنسبة إلى هذا الموسم بنحو 18 ألف طن أي بزيادة بنحو ألف طن مقارنة بالموسم الفارط وفق معطيات محينة للمندوبية الجهوية للتنمية الفلاحية.

موسم الفراولو الذي ينطلق غالبا موفى شهر فيفري ليتواصل إلى منتصف شهر جوان من كل سنة عرف نسقا تصاعديا في عمليات التجميع و«قد أوشك الموسم على نهايته» وفق تأكيد أحد الفلاحين الحبيب الوسلاقي الذي اختص في زراعة الفراولو بمنطقة بولزهار غير البعيدة عن منطقة بولدين



# عندما تهتدُّ أياد آئمة إلى أشجار الزان بغابة عين دراهم

النباتية- الايكولوجية (carte phyto-écologique) للبلاد، وهو ما يؤكّد القيمة الجمالية والبيئية لهذه الغابة.

وقد عجل وزير الفلاحة والصيد البحري والموارد المائية السيد أسامة الخريجي بإحداث لجنة علمية متعددة الاختصاصات لتقييم الآثار المترتبة عن القطع غير القانوني لأشجار الزان بغابة عين دراهم وهي تضمّ 16 عضواً من مختلف الهياكل والمنظمات المعنية . وتتألف اللجنة من باحثين، مدرّسين ومهندسين من مختلف هيئات وزارة الفلاحة ومن ذوي الاختصاصات المتعدّدة في علاقة مهمّة اللجنة وممثل عن وزارة البيئة وممثل عن وزارة الصناعة وممثل عن الصندوق العالمي للبيئة وممثلين عن أهمّ الجمعيات البيئية الوطنية والجهوية.

ويرأس هذه اللجنة السيد يوسف عمّاري، وهو أستاذ تعليم عال، باحث ومختصّ في علم البيئة والتصرّف في الموارد الطبيعية بالمعهد الوطني للبحوث في الهندسة الريفية والمياه والغابات بتونس.

وقد تعاملت وزارة الفلاحة والصيد البحري والموارد المائية مع هذا الاعتداء الوحشي على الموروث الغابي الوطني وفق مقاربات ثلاث :

**ما** شهدت غابة عين دراهم في الأسابيع الأخيرة من اعتداء سافر على جانب منها يعدّ دون منازع جرماً عظيماً في حقّ التراث الطبيعي الوطني. فقد امتدّت أياد آئمة إلى أشجار الزان (le chêne zéen) في منطقة عين سلامّ بمعتمدية عين دراهم لتقطع منها بطريقة وحشية أكثر من أربعمئة.

تونس من البلدان المعروفة بغاباتها التي يكثر فيها هذا النوع من الأشجار الطبيعية الباسقة التي يمكن أن تعمّر طويلاً ويستخدم خشبها النبيل في صناعة الأثاث الفاخر وبعض اللوازم كغلاف لوحة قيادة الطائرات والسيارات الفارهة.

تمسح غابات الزان في تونس قرابة 8 آلاف هكتار بينما تقدّر المساحات الغابية التي يمتزج فيها هذا النوع النباتي مع أشجار الفرنان (le chêne liège) ما يناهز 22 ألف هكتار، وهي موجودة في ولايات جندوبة وباجة والكاف بعد أن انقرض هذان النوعان من الأشجار تقريباً في ولاية بنزرت والوطن القبلي، وذلك بسبب التغيّرات المناخية. وقد اعتبر الفرنسي أنتوان شونانبرجر (1922-2008) غابة الزان التونسية أجمل غابة من نوعها في العالم وذلك عندما أشرف منذ عقود على إعداد الخارطة

وقد تحولت اللجنة يوم الثلاثاء 5 ماي الجاري بكامل أعضائها إلى منطقة عين دراهم للوقوف على هذه الاعتداءات ومعاينتها. وسيتم في فريق حصر عدد الأشجار التي قطعت وتحديد الأضرار التي لحقت الغابة جراء هذا التعدي الصارخ على الغطاء النباتي وخاصة في ما تعلق منه بغابة الزان المحمية والمهددة بالانقراض.

وقد لمسنا في اتصال أجريناه مع السيد يوسف عمري شعورا عميقا بالحسرة والمرارة إزاء هذه الكارثة التي أصابت جانبا من المخزون البيولوجي الوطني فقد هاله ما شاهد هو وزملاؤه خلال الزيارة الميدانية من آثار مؤلمة لهذه الفعلة الشنيعة: ثروة يستحيل تعويضها اندثرت بين عشية وضحاها، ومن الأشجار التي قطعت دون أي اعتبار لقيمتها التاريخية والبيولوجية أشجار يزيد عمرها عن مائتي عام والبعض منها يبلغ قطره المتر!!

عده أسئلة تُطرح بالحاح بعد أن استباحت غابة الزان بعين دراهم: أين حراس الغابة إن كان لهم وجود؟ أين السلط المحلية والجهوية؟ كيف لم يقع التفطن إلى هذه العملية التي من المرجح أن تكون قد استمرت على مدى أيام بالنظر إلى عدد الأشجار المقطوعة؟ أليس من الضروري اليوم الإسراع بتعزيز سلك حراس الغابات وتشديد إجراءات حماية ثروتنا الغابية خاصة لما يتعلّق الأمر بأشجار ونباتات مهددة بالانقراض؟ ألا يكفي ما لحقها خاصة في السنوات العشر الأخيرة من أضرار جسيمة بسبب الحرائق -والعديد منها تنشب بفعل فاعل-، فضلا عن الرعي والاحتطاب العشوائيين؟ كيف السبيل إلى التوقّي من الحرائق التي التهمت بعد جزءا من نسيجنا الغابي خاصة ونحن مقبلون على فصل الصيف الذي تتفاقم فيه هذه الكوارث؟

أم يحن الوقت لإعادة رسم الخارطة النباتية- البيولوجية للبلاد التونسية بعد مرور عده عقود على إعدادها بما يسمح بإعداد سياسة محكمة للحفاظ على المخزون البيولوجي الوطني وتثمينه؟

**1 -** مقارنة إدارية، وذلك بتكليف التفقدية العامة للوزارة بالقيام بالأبحاث والتحقيقات اللازمة في الغرض واتخاذ ما يتعيّن من إجراءات .

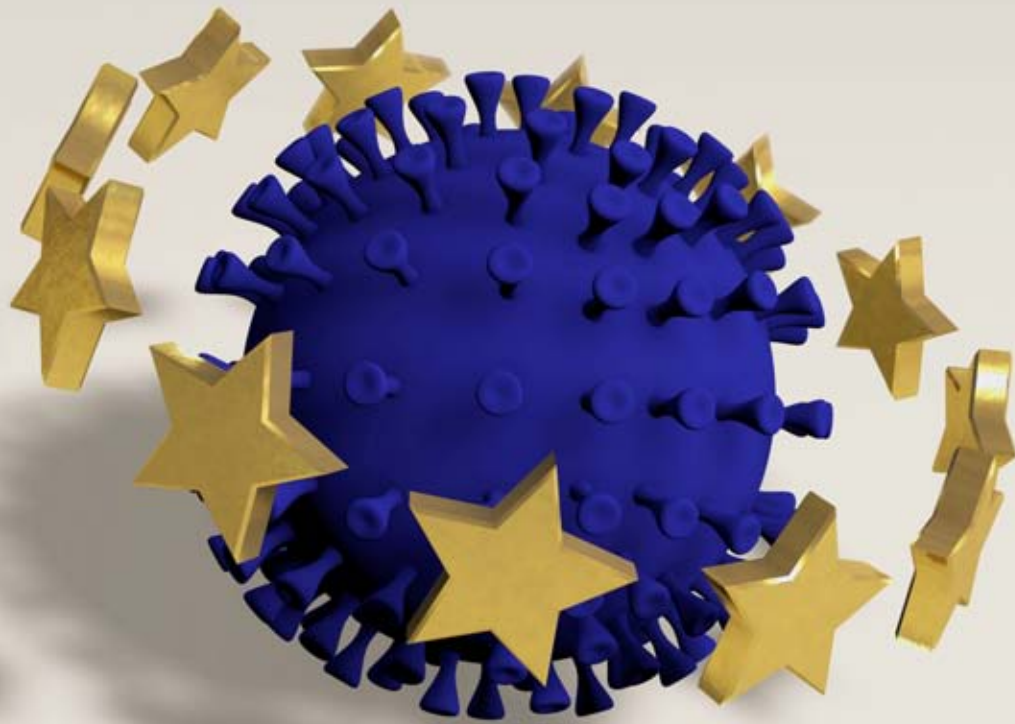
**2 -** مقارنة قضائية، وذلك بإحالة الملف على الجهات القضائية المختصة بموجب قانون الإرهاب، وقد تمت إحالة المذنبين على معنى الفصل 14 من قانون مكافحة الإرهاب الذي يعرف الجرائم الإرهابية من بينها الاعتداءات على الأمن الغذائي وعلى التوازنات البيئية حتى ينالوا العقاب العادل.

وقد علمت ليدرر العربية أنه تم إيقاف تسعة عناصر أصيلي ولاية جندوبة كانوا أدوات تنفيذ لعملية الاعتداء هذه التي تقف وراءها عصابة إجرامية منظمة ستكشف عنها الأبحاث القضائية.

**3 -** مقارنة علمية، وذلك بتكوين لجنة علمية متعددة الاختصاصات لتقييم الآثار المترتبة عن القطع غير القانوني لأشجار الزان بغابة عين دراهم. وتتمثل أعمال اللجنة في المهام التالية:

- تقييم الأضرار البيولوجية والبيئية والاقتصادية الناتجة عن القطع غير القانوني لأشجار الزان.
- القيام بالقياسات وأخذ العينات الضرورية للأغراض التطبيقية والعملية في علاقة بصنف شجر الزان.
- اقتراح الطرق المثلى لحفظ الخشب المصادر حسب المعايير الفنية وطرق التصرف فيه واستغلاله.
- اقتراح برنامج متكامل لتهيئة المواقع المتضررة وإعادة تشجيرها والمحافظة على شجرة الزان بالغابات التونسية.
- واستعمل اللجنة على إعداد تقرير أولي في ظرف ثلاثة أسابيع وتقرير نهائي بعد شهر ونصف من إعداد التقرير الأولي.





# الاتحاد الأوروبي في زمن الكورونا... والمراجعات الكبرى

يعجّ تاريخ الإنسانية بالأزمات والمآسي التي خلّفت من ورائها ملايين الضحايا وخسائر مادية لا تحصى: كوارث طبيعية وثورات دامية وحروب عالمية وإقليمية ومجاعات وأوبئة. وإن اختلفت في طبيعتها إلا أنها غالباً ما تفضي إلى التغيير ويشكل بعضها منعرجاً في تاريخ الإنسانية. ولاشك أن وباء كورونا-19 المنتشر حالياً في كافة أرجاء المعمورة يندرج ضمن الأزمات الكبرى التي عرفتتها البشرية في عصرنا هذا وستكون له تأثيرات جغرافية وسياسية واقتصادية واسعة ستسرّع من وتيرة التغيير وتفرض نظاماً عالمياً جديداً بدأنا نتبين ملامحه الأولى.



• بقلم محمد لسير

من التطور العلمي والطبي والمؤسسي ومن الرقي الاجتماعي والرفاه الإنساني ما يسمح لها منطقياً باستشراف الأزمات والاستعداد لها، لذلك يعتقد الكثيرون أن أوروبا ما بعد كورونا لن ترجع إلى سالف عهدها وقد يكون للأزمة تأثير على وحدتها وعلى تفاعلها مع العولمة وسيؤدي حتماً إلى مراجعات حول مفهوم السيادة الوطنية ومتطلباتها لا فحسب سياسياً وعسكرياً بل كذلك من الناحية الاقتصادية حيث كشفت الأزمة عن مدى تبعية أوروبا للصين على

مروراً بـ «كورونا 1-» و«كورونا 2-»، من ذلك تنبيه اللجنة الوطنية الأمريكية للاستعلامات في تقرير لها سنة 2008 إلى خطر انتشار مرض جديد شديد العدوى وقاتل يصيب الجهاز التنفسي وليس له علاج وهو ما تناقلته أوساط طبية وشخصيات سياسية غرباً وشرقاً. لكن المجموعة الدولية لم تتخذ الإجراءات الضرورية لمجابهته وهو ما جعل بلدان العالم تواجه انتشاره في صفوف متفرقة ودون تنسيق. ولعلنا نجد في أوروبا خير مثال لهذا التقصير لأن بلدانها بلغت

تعاملت أوروبا مع هذا الوباء وما مدى تأثيره على وحدتها وخياراتها وموقعها في العالم؟

## كيف

أول ما يتبادر إلى الذهن هو عدم استعداد بلدان الاتحاد والغرب عموماً لمواجهة آفة كورونا رغم التحذيرات العديدة التي أطلقها أخصائيو الأمراض المعدية منذ سنوات بخصوص تواتر حدوث الأوبئة المختلفة، من «أنفلونزا الخنازير» إلى «إبولا»

والاستراتيجية. تلك التبعية التي برزت بوضوح خلال استيراد الحاجيات الطبية من الصين لمجابهة الوباء هزّت صورة أوروبا وعكست هشاشة موقعها على الصعيد الاقليمي والدولي. و ينتظر أن يدخل الاتحاد الأوروبي في مشاورات حول ترحيل عدد من الأنشطة الصناعية ذات الطابع الحيوي والاستراتيجي المنتصبة بالصين إلى أوروبا أو في جوارها (المغرب العربي، إفريقيا جنوب الصحراء)، وذلك على غرار اليابان الذي أعد خطة متكاملة لتمويل عودة الشركات اليابانية من الصين.

هذا التوجّه يندرج في إطار المراجعات التي ستقوم بها مؤسسات الاتحاد وبلدانه التي أدركت إبان الأزمة أن العولمة وشروط المنافسة وإغراءات السوق الصينية أدت إلى هجرة أعداد كبيرة من المؤسسات الاقتصادية الأوروبية إلى الصين مما أضعف النسيج الصناعي في بلدان الاتحاد وفاقم العجز في توفير بعض المواد والأجهزة الأساسية. ولعل ما يخيف الاتحاد الأوروبي هو أن تسعى الصين التي نجحت في جلب كبرى الصناعات الغربية واستفادت من تقنياتها العالية إلى توظيف موقعها الحالي كأبرز قطب صناعي عالمي للضغط على الاتحاد وابتزازها بعد أن تبين أنها تمتلك المقومات الضرورية لتصبح القوى الأعظم في المستقبل القريب، لذلك سيحتل موضوع التصنيع الذي تتهجر خلال العشريات الأخيرة مع إفلاس العديد من الصناعات أو شرائها من قبل رأس المال الأجنبي (صناعة السفن، التعدين، الفولاذ، النسيج، المواد الطبية...) موقعا جديدا في استراتيجيات أوروبا التنموية وسيقترن مستقبلا بموضوع الأمن القومي وسيادة الدول الأوروبية.

ومع إدراك هذه الدول أن العولمة فاقمت من تبعية البلدان التي لم تحرص على ضمان أمنها في مفهومه الواسع وأن الدولة فقدت دورها الاستراتيجي بحكم ما تفرضه إيديولوجيا الليبرالية الجديدة ينتظر أن تشهد أوروبا مراجعات تسمح بالتوفيق بين شروط العولمة ومتطلبات السيادة. ولاشك أن بلدانا ستأثر بما سيقرّه الاتحاد من سياسات وهو ما يستوجب الاستعداد لامتناس الآثار السلبية التي ستنتج عن الأزمة الاقتصادية وتنامي التيارات القومية واقتناص فرص التعاون والاستثمار التي سيوفرها ترحيل العديد من الصناعات الأوروبية المقيمة حاليا في الصين. م.

رئيس «المنتدى الدبلوماسي»

الأوروبية إلى تدارك الأوضاع بعرض إجراءات مالية وجبائية تهدف إلى مساعدة البلدان الأعضاء على مجابهة الحالة الصحية وتدهور الأوضاع الاقتصادية للمؤسسات والأفراد حيث تشير التوقعات إلى هبوط حاد في الناتج القومي الخام في سائر بلدان الاتحاد يصل إلى قرابة 14% في إسبانيا و8% في فرنسا على سبيل المثال ستكون له تبعات سلبية على التشغيل والقدرة الشرائية للمواطنين. من ضمن هذه الإجراءات العاجلة إنشاء احتياطي استراتيجي من المواد والأجهزة الطبية بميزانية تقدر بـ50 مليار أورو وبرنامج شراء ديون بلدان منطقة الأورو من قبل البنك المركزي الأوروبي تصل اعتماداته إلى 1050 مليار أورو إلى جانب ما يوفّره صندوق الإغاثة الذي تم إنشاؤه في 2012 خلال أزمة الديون تحت مسمى «الآلية الأوروبية للاستقرار» وتقدر طاقة إقراضه بـ410 مليار أورو.

هذه المبالغ الكبرى التي تدل على تحرك مؤسسات الاتحاد بقوة ولو بشيء من التأخير تأتي لتعزيز البرامج الوطنية الخاصة بالأعضاء التي تصل إلى حدود 550 مليار أورو من القروض خصصتها ألمانيا لحماية مؤسساتها الاقتصادية في حين أقرت فرنسا برنامج مساعدات لدعم مؤسساتها الاقتصادية وأجرائها يناهز 45 مليار أورو. وكذلك الحال بالنسبة إلى إيطاليا وإسبانيا اللتين اعتمدا إجراءات استعجالية لدعم الاقتصاد ومساعدة العمال والمواطنين المتضررين تقدر بعشرات المليارات. لاشك أن الأزمة الصحية التي سببها فيروس الكورونا ستعرف انفرجا نسبيا في أوروبا حسب السيناريوهات الأكثر احتمالا بحلول فصل الصيف من هذه السنة وسيخفف الحجر الصحي في سائر البلدان الأوروبية وقد استأنف بعضها النشاط منذ أواخر الشهر الماضي إلا أن خطر الانتكاس يبقى قائما ما لم تتوصل المخابر الطبية إلى لقاح. أما على الصعيد الاقتصادي وفي إطار الخيارات الاستراتيجية الكبرى فإن الآثار لن تزول مع نهاية الأزمة وستستمر تداعياتها لزمان غير محدد. ما يمكن استنتاجه في هذا الإطار بالاعتماد على تفاعل الاتحاد وبلدانه مع الأزمة وتصاريح المسؤولين الأوروبيين ذات الصلة يندرج بصفة إجمالية في الملاحظات التالية:

يقطع النظر عن قرار الاتحاد تكوين احتياطي استراتيجي من الأدوية والمعدات الطبية لاستعماله عند الضرورة هناك توجه نحو التقليل من تبعية أوروبا لقوى أجنبية في مجال الصناعات الحيوية

مستوى الأجهزة والمعدات الطبية والأدوية وغيرها من المجالات الحيوية. وتجدر الإشارة هنا إلى عاملين أساسيين كان لهما الأثر الكبير في إرباك المجموعة الأوروبية التي انتشر فيها الوباء بسرعة وأصبحت تحتل المرتبة الأولى عالميا في عدد المصابين والوفيات.

العامل الأول: يتمثل في نقص الأجهزة والمواد المذكورة آنفا حيث اضطرت البلدان الأوروبية التي تمتلك أغنى الشركات المنتجة للأدوية والمعدات الطبية في العالم إلى استيراد جزء كبير من حاجياتها من الكمادات ومعدات الوقاية الأخرى ومن المضادات الحيوية وغيرها من الصين التي انتقلت إليها كبرى الشركات الغربية. ويذكر في هذا الإطار أن «ووهان» الصينية تستقطب بمفردها 300 شركة من ضمن الـ500 شركة الأكبر في العالم. هذه التبعية في مجال حيوي مثل الصحة جعلت القيادات الغربية تدرك مدى خطورة الوضع بالنسبة إلى الاتحاد الأوروبي وأطلقت العنان لانتقادات الرأي العام والأحزاب الشعبوية.

والعامل الثاني يتعلق بغياب التضامن بين البلدان الأوروبية التي تعاملت بصفة فردية مع الجائحة واتخذت إجراءات مختلفة غاب عنها التنسيق بلغت حد تعليق اتفاقية «شنغان» حول حرية التنقل وإغلاق الحدود. كما أن تردّد الاتحاد الأوروبي وبعض من أعضائه إزاء طلب المساعدة الذي تقدّمت به إيطاليا لمواجهة أزمته الصحية الحادة أدى إلى توتر شديد داخل المجموعة وأحدث شراخا في صفوفها حيث انقسمت بين جنوب داعم لإيطاليا في سعيها لتحقيق مدّ تضامني أكبر بين الأعضاء وشمال تقوده ألمانيا حريص على الالتزام بقواعد الاتحاد وبالصرامة في التسيير وهو ما أثار غضب رئيس الوزراء الإيطالي ومسؤولين أوروبيين آخرين متعاطفين معه وأدى إلى مناكفات تقلل من شأن الوحدة الأوروبية وتحدّر من إمكانية تفكك الاتحاد. وفي هذه الأثناء طلبت الحكومة الإيطالية دعما خارجيا واستجابات لطلبها بلدان مثل روسيا والصين وكوبا التي قدّمت مساعدات عينية وقرقا طبية وهي مبادرة لم يشهد الاتحاد مثلها من قبل.

هذا التطور غير المتوقع يأتي في ظرف عانى فيه الاتحاد من تأثيرات خروج المملكة المتحدة من عضويته ومن تنطع وعدم التزام بلدان حديثة العضوية فيه مثل بولونيا والمجر بقواعد المجموعة إضافة إلى تبعات أزمة «منطقة الأورو» والعلاقة المتقلبة مع الحليف الأمريكي. هذه الأحداث ساهمت في دفع المؤسسات



## العالم يزُري لِحال أمريكا... ويزُريها...

أجل... إنَّ العالم يزُري لِحال أمريكا...إنه يزُري لِحالها لأنَّ رئيسها غريب الأطوار دونالد ترامب لطالما تعنى، أثناء حملته الانتخابية ومنذ أن ترنح على عرش البيت الأبيض، بأنه سيعيد إليها عَظمتها، فإذا به يمزغ أنفها في التراب حين وجدت نفسها عاجزة، قاصرة، خائرة القوى، أمام فيروس كورونا المجهري، مجهول الهوية. وهو يزُري لِحالها لأنَّ رئيسها غريب الأطوار لطالما ترنم بشعار «أمريكا أولاً»، من أجل أن تظل الأولى في العالم، فإذا بها الأولى، فعلاً، لكن في التآذي بفيروس كورونا الذي تجاوز عدد ضحاياه فيها الخمسة والسبعين ألفاً، يوم كتابة هذا المقال (الخميس 2020/05/07)...



• بقلم محمد إبراهيم الحصارى

## وهو

يَرْتِي لحالها لأن رئيسها غريب الأطوار لظالماً أكد أنه سيقبل من تدخلاتها العسكرية الخارجية، وسيسحب القوات الأمريكية من يور التوتّر التي زرعتها في مختلف مناطق العالم، حفاظاً على حياة الجنود الأمريكيين، فإذا بعدد ضحايا فيروس كورونا يتجاوز، بسبب تعاطيه الأرعن مع الفيروس، عدد قتلى حرب الفيتنام.

ومع أن الرئيس الأمريكي غريب الأطوار دأب، منذ تسلمه مقاليد الرئاسة، على إتحافنا بالأعاجيب تلو الأعاجيب، فإن أعاجيب تعاطيه مع وباء كورونا الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، والذي أرغم أكثر من نصف سكان الأرض على الاعتزال الصحي والتباعد الاجتماعي، فاقت، من حيث الكم والكيف جميع أعاجيبه السابقة...

وقد تجلّت أعاجيب هذا التعاطي فيما يلي:

• أولاً، قابل الرئيس الأمريكي غريب الأطوار الإعلان عن ظهور الفيروس في مدينة يوهان الصينية بدرجة عالية من الاستخفاف والتهاون، ومن الصلف والعجرفة، وكأنّ أمريكا محصنة ضدّه، ولا يمكن أن يأتيها من بين أيديها ولا من خلفها، ولذلك فإنّه تأخّر في اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة، فكان الاجتياح فتاكاً مدمراً.

• ثانياً، ما يزال الرئيس الأمريكي غريب الأطوار يصرّ على تحميل وزر المأساة التي تشهدها الولايات المتحدة للآخر الصيني، فسبّب المأساة، عنده، هو الصين التي ضلّت العالم، ومنظمة الصحة العالمية التي توأطأت معها، وغطت على إخلالاتها، ممّا جعله يعلّق المساهمة الأمريكية في موازنتها، في وقت هي أحوج ما تكون فيه إليها.

• ثالثاً، ذهب الرئيس الأمريكي غريب الأطوار إلى أبعد من ذلك، فبعد أن عمد، بمجرد ظهور الفيروس في يوهان، إلى تشويه صورة الصين في عيون العالم، وإلى إغلاق الحدود في وجه الصينيين، وإلى اغتنام الفرصة للدعوة إلى إعادة توطين الصناعات الأمريكية المستقرّة في الصين، توعدّ الصين بأنّ حسابها سيكون عسيراً إن تأكد أنّ تسريب الفيروس الذي ما يزال يرفض استخدام اسمه العلمي، ويصرّ، بكلّ تعنّت، على تسميته بالفيروس الصيني، تمّ عن عمد، فلقد قال فيما قال: إن كان انتشار الفيروس نتيجة «خطأ، فالخطأ

خطأ» أما إن كان مُتعمّداً فلا بدّ «أن تكون هناك عواقب».

• رابعاً، وعلى عادته في اتخاذ القرارات الهوجاء، سارع الرئيس الأمريكي غريب الأطوار إلى الإعلان عن أنه سيفرض على الصين «ضرائب عقابية»، بينما سارعت جهات أمريكية عديدة إلى رفع قضايا على الصين، لمحاكمتها، (في المحاكم الأمريكية طبعاً)، ولمطالبتها بتعويضات خيالية عن تسببها في انتشار الفيروس، ومن أمثلة ذلك القضية التي رفعتها عليها حكومة ولاية ميسوري التي تطالبها بتعويضات قدرتها بـ44 مليار دولار فقط لا غير.

• خامساً، وبالطبع، وما بالطبع لا يتغيّر، لم يخلّ تعاطي الرئيس الأمريكي غريب الأطوار الذي ألحّ إحاحاً على تسميته بتاجر واشنطن (لتطابق سيرته مع سيرة تاجر البندقية في مسرحية شكسبير الشهيرة)، مع الفيروس، من جسعه التجاري المعهود، وقد بدا ذلك واضحاً في المحاولة الفاشلة التي قام بها من أجل وضع يده على المختبر الألماني الذي يقوم بتطوير مشروع لقاح ضد الفيروس حتى يكون إنتاج اللقاح حصرياً للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك مقابل مبلغ مالي ضخم قدر بمليار دولار.

ومن حسن الحظ أن برلين أجابته بأنّ ألمانيا ليست للبيع... وأنها تعمل من أجل إنتاج لقاح للعالم كلّه وليس لدول بعينها... ذلك أنّها تعتبر أنّ «مكافحة فيروس كورونا المستجدّ هي مهمة تعني البشرية بأكملها، ولا مجال فيها للأناية».

• سادساً، ولنفس الأسباب التجارية، ولأسباب أخرى، انتخابية أساساً، كان الهمّ الأول والأخير الذي يحرك الرئيس الأمريكي غريب الأطوار، وبلاده في عين العاصفة، هو التعجيل بإنهاء العزل الصحي، وإعادة فتح الاقتصاد وتشغيله، حتى لو كان ذلك على حساب حياة مواطنيه الذين لم يشعر بالخجل عندما دعا إلى حقن المصابين منهم بموادّ التنظيف والموادّ المطهرة ...

ومثلما هو متوقّع منه، فإنّه لم يخلّ عن مسألة الهجرة التي يقصّ كابوسها مضجعه بصورة مرّضية، فلقد انتهز فرصة الوباء، وتزايد أعداد البطالين بالملايين، ليقرّر وقف الهجرة إلى الولايات المتحدة مؤقتاً، وقد يتحوّل المؤقت إلى دائم.

• سابعاً، وإلى ذلك أبان الرئيس الأمريكي غريب الأطوار عن درجة اعتقدها أنّها منقطعة النظر

من هزّالة الحسّ الإنساني، عندما صمّ أذنيه عن كلّ الدّعوات إلى رفع أو على الأقلّ التخفيف من إجراءات الحظر الأحادية المفروضة على دول كإيران وسوريا وقطاع غزة المحاصر منذ عقد ونصف، حتى تتمكن من التزوّد بمستلزمات مواجهة الفيروس.

كما أبان الأمريكيون عن درجة منقطعة النظر من تضخّم مركب الاستعلاء عندهم حين لم يتورّعوا عن اختطاف وتحويل وجهات شحنات من مستلزمات مواجهة الفيروس إلى الولايات المتحدة، بدلا من الدول التي اقتنتها...

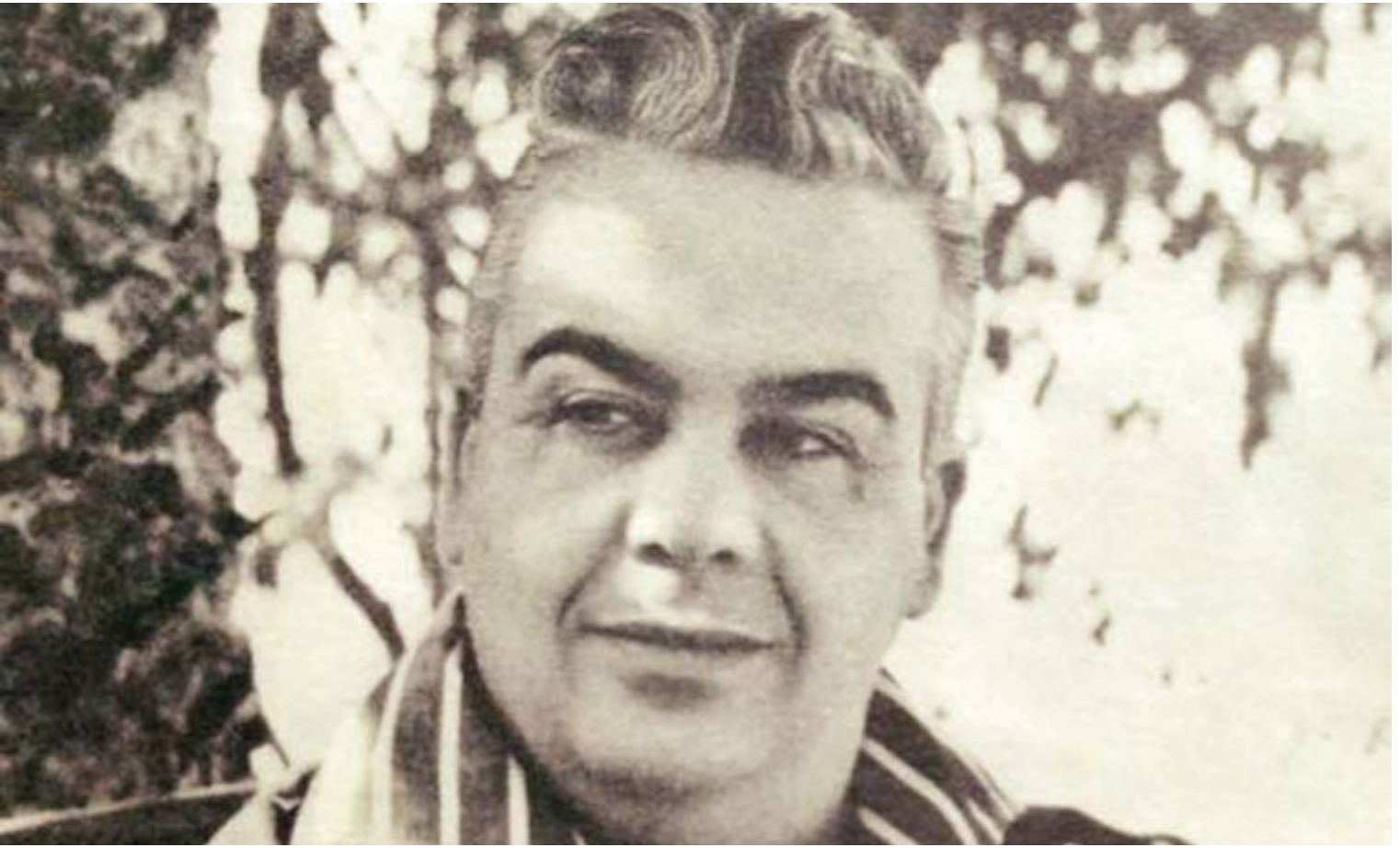
• ثامناً، وحتى يصرّف النظر عن الكارثة التي تكابدها بلاده، ما انفكّ الرئيس الأمريكي غريب الأطوار يصطنع المعارك الجانبية، فهو تارة يهدّد إيران التي نجحت في إطلاق أول أقمارها الصناعية، بأنّه أمر قواته البحرية بتدمير أيّ زوارق إيرانية إذا تحرّشت بالسفن الأمريكية «في البحر»، وهو يقصد «في الخليج» الذي يبعد عن بلاده آلاف الكيلومترات، ولا يمكن بشكل من الأشكال أن يكون جزءاً من حدود أمريكا المائتة... وهو تارة أخرى ينذر المملكة العربية السعودية بأنّه سيسحب منها القوات الأمريكية التي تتولى «حمايتها» إذا لم تستجب لتحرّكه من أجل مواجهة آثار الانهيار التاريخي الذي شهدته أسعار النفط والذي يهدّد شركات النفط الأمريكية بالإفلاس...

• تاسعاً وأخيراً فإنّ الرئيس الأمريكي غريب الأطوار ما فتى يقارن بين هجوم «الفيروس الصيني» كما يسمّيه وبين الهجوم الياباني على ميناء «بيرل هاربر» وهجمات 11 سبتمبر 2001، وكأنّه بذلك يريد، عن سابق إضمار وترصد، أن يسبغ على الحرب على فيروس كورونا طابعا عسكرياً حتى يُسخّن لما سيعقب الجائحة من «حرب خافضة رافعة» بين الولايات المتحدة وبين الصين.

أفلا يحقّ للعالم، أمام هذا الكمّ الهائل من «السوءات» التي أبداها تعاطي الرئيس الأمريكي غريب الأطوار مع فيروس كورونا، لأن يرتي لحال أمريكا فحسب، وإمّا أن يرتيها وأن يرتي صورتها التي تهشمت بنهشم نموذجها الحضاري بعدما انكشف توخّش نظامها الرأسمالي الليبرالي، وهشاشة التزامها بالقيم التي أقامت عليها، والتي حاولت، من أجل نشرها، أمرّكة العالم أجمع، بالحديد والنار؟! ■

ح.م.أ





## في الذكرى الخمسين لوفاة المرحوم علي الرّياحي نهاية حياة وبداية أسطورة

أي سرّ في بقاء صورة علي الرّياحي حيّة في ذهن التّونسيين رغم مرور عقود خمسة علي وفاته، ولمّ هذا الشغف بترداد أغانيه في شتى المناسبات؟ لعلنا نجد إجابة عن السّؤال فيما تثيره تلك الأغاني من شجن في الذين أدركوه ، وما ترسمه من صور وأحاسيس للجيل الحاضر الذي يجد فيها من القيم ما يشدّه إلى جذوره ويصالحه مع هويته. لا شك أنّ آثار علي الرّياحي (وغيره من كبار المبدعين التّونسيين) تشكل حلقات وصل قويّة بين الماضي والحاضر وفروعاً عتيبة في شجرة الرّوح الجماعيّة المثلثة بثمار من كلّ العصور. وما شغف الناس بأغاني الرّياحي إلاّ تمثّل حالمٍ لزمان كان فيه للحن والكلمة والأداء نكهة خاصّة وحسّ عميق بالانتماء إلى هذه الأرض.



• بقلم علي اللواتي

الفني، فهو لم يدرس الموسيقى في مؤسسة ولم يتعلم العزف على آلة. كان الشغف بالغناء يدفعه إلى التردد خفية على جار الأسرة الشيخ الموسيقي وصانع الأعود عبد العزيز الجميل ليأخذ عنه بعضاً من التراث المشرقي ويستمتع إلى غناء سيد درويش والشيخ الصفتي والشيخ أبو العلا محمد. وفجأة وقبل إتمام دراسته الثانوية، قرّر مغادرة المدرسة واحتراف الغناء، ولم يكن له في البداية من رصيد سوى أغاني منيرة المهديّة وأم كلثوم وعبد الوهاب، لكن لم يلبث أن دخل مغامرة الإبداع الذاتي وكانت ثمرتها الأولى، كلمةً ولحنًا، أغنيته المعروفة «في ضوء القمر».

### جيل الأغنية التونسية الجديدة

منذ أواخر العشرينات من القرن الماضي برزت صيغ جديدة للأغنية التونسية

### خطوات أولى على طريق صعب

وُلد علي الرّياحي سنة 1912 بتونس، وتابع تعليمه في المدرسة الابتدائية خير الدين ثم بالمدرسة «الخلدونية بسوق العطارين والتحق بعد ذلك بـ «معهد كارنو» الفرنسي ليغادره في السنوات النهائية قبل البكالوريا. وكان أول اهتمامه بالتصوير الذي تعلمه على أستاذه بالمعهد الرسّام المعروف بيير بوشارل (Pierre Boucherle). ورغم أنّ والد علي الرّياحي وعمّه كانا مولعين بالموسيقى والطرب، غير أنّه لم يكن متوقعًا أن يتّجه في يوم ما إلى احتراف الفنّ، فأسرته تنتمي إلى وسط اجتماعي محافظ حيث تنتسب إلى الشيخ العالم، المفتي والشاعر سيدي إبراهيم الرّياحي (1766 — 1850)؛ ولعلّ الطريق الذي سلكه الفنّان الناشئ لم يكن سهلاً، إذ اعترف في حديث له بأنّه «ضحى كثيرا» من أجل تحقيق حلمه؛ أمّا عن تأهيله

علي الرّياحي خلال طفولته وشبابه مرحلة تنوّعت خلالها أساليب الغناء بين محلية ومستوردة؛ وكان أهم أسباب ذلك التنوّع ظهور الفونوغراف بتونس في السنوات الأولى من القرن العشرين؛ فقد أتى بتقاليد سماع مغايرة لتلك التي عهدها المجتمع من قبل ونقل صوت المنشد أو المطرب من المجالس الخاصة إلى المقاهي والأسواق ومنها إلى آفاق لا حدود لها. اندرجت تجربة علي الرّياحي ومسيرته في ذلك السياق الجديد للممارسة الموسيقية التي باتت تسمح للمغني بالخروج من دوره المتواضع ضمن التخت التقليدي ليكتسب أكثر حضورًا وتمييزًا. وذاك ما حلم علي الرّياحي بتحقيقه منذ مراهقته: أن يكون مطربًا وملحنًا «عصريًا»، بل أن يقيم تظاهرة بمفرده لا يشاركه فيها مطرب آخر؛ وقد تمّ له ما أراد ولمّا يتجاوز سنّ الرابعة والعشرين.

# عاش



أما بخصوص الصّنع والأسلوب فلم يكن بوسع علي الرّياحي أن يجدد الكثير في بنية الأغنية وموضوعها، غير أنه حقّق في أغانيه تأليفاً طريفاً بين المقام الشّرقى والدّوق التّونسي إذ طعّم النغم الشّرقى ببعض ممّا تعلمه من «الطّبوع» المحليّة، وابتدع من ذلك جملاً موسيقيّة أصيلة أضافت إليها العاميّة أصواتها المميّزة وإيقاعاتها الخاصّة حتّى كأنّ المقام الشّرقى وُلد تونسيّاً.

وأقّ اليوم الذي توقّفت فيه أنفاس علي الرّياحي إثر جلطة دماغية وهو على ركح المسرح البلدي؛ في 27 مارس 1970 رحل «مطرب الخضراء» وانقطع «شحرورها» عن الغناء. انتهت حياته تاركة أسي وحسرةً في قلوب مواطنيه، وأذن ذلك ببداية أسطوره كمدعٍ عبّر أعمق تعبير عن الشّخصية التّونسية ولا تزال أغانيه تنبض بالحياة وتتردّد على ألسنة المطربين وعموم النّاس. لقد بنى الفنّان لنفسه شخصيّة متكاملة ككاتب كلمات وملحن ومطرب خارج إطار «المعهد الرّشيدى»، قلعة الأصالة الموسيقيّة، غير أنه سرعان ما أفنّع جمهوره بأنّه الأعمق أصالة «تونسيّة» في أبناء جيله. ■

ع.ر



ذاتها، موكلاً بإعداده هذه المرّة إلى مهنيّ مختصّ في تنظيم الحفلات، وكان النّجاح باهراً والإقبال كبيراً؛ وهكذا حقّق ما كان يحلم به في مراهقته مؤسساً مفهوماً جديداً للفنّان - المنتج للحفل الفنّي كمشروع ذاتي بما يلزمه من تخطيط ووسائل إنجاز؛ وتلك لعمرى تجربة بارزة وغير مسبوقّة على طريق «الحدائق» حيث يواجه الفنّان الجمهور في إطار عرض «بصري» (show) مع الاهتمام بلباس المطرب وهيئته الخاصّة (look). وقد جلب ذلك النّجاح لعلي الرّياحي اهتمام مؤسسة الإذاعة التّونسيّة فعمل بها طيلة عقود وسجّل فيها عدداً كبيراً من أعماله.

### كنز من الأغاني يتحدّى الزمن

هناك أغانٍ يُشغف به النّاس كلّ الشّغف عند ظهورها وسرعان ما يتلاشى الافتتان بها فتُنسى؛ وأخرى قد لا تحظى بقبول كبير عند ولادتها ولكنها تكتسب القدرة على البقاء إلى ما بعد رحيل مبدعيها، وإلى هذا الصّنف تنتمي أغاني علي الرّياحي التي تولّد بخصائص تدفعها نحو الالتحام بالرّوح الجماعيّة لتصبح جزءاً أصيلاً من رصيد تراثيّ عريق.

إنّ أغنيات مثل «العالم يضحك» و«يا شاعلة بالي» و«زهر البنفسج» و«يا اللي ظالمني» و«تنساني وتهجرني علاش» و«عايش من غير أمل في حبك» وأخرى كثيرة مثلها، لا تزال تراثاً حيّاً يردهه التونسيون من كلّ الفئات وفي مختلف الجهات إلى اليوم، والواقع أنّها باتت مورد رزق لمطربين كثيرين يردهونها في حفلاتهم الخاصّة أو في الأعراس. ويؤكّد أحد أعماله الأخيرة: «حبيبتى زنجية»، شعر نورالدين صمود، بأسلوب تأليفها المتقن، بأنّ علي الرّياحي من المجدّدين في تلحين القصيد باللّغة الفصحى. كتب علي الرّياحي الكثير من كلمات أغانيه، غير أنّ أكثرها من نظم المرحوم محمود بورقيبة؛ والمعروف أنّ الأخير هو من أطلق على الفنّان لقب «مطرب الخضراء» فلزمه حتّى نهاية حياته، كما كان يلقب أيضاً بـ «شحرور الخضراء».

من إنتاج فنّانين تتسم أعمالهم بالتحرّر نسبيّاً من أنماط الغناء القديمة والتّعبير عن اختيارات ذاتيّة في المواضيع وأسلوب التّلحين والغناء. وكان علي الرّياحي من أبرز المؤسّسين لهذا التّيّار الذي انطلق مع محمّد التريكي بأغنيتيه «زعمة يصافي الدهر» وشكّلت بنييتها المبتكرة وتنوّعها النّغمي، تحوّلاً عن نمط أغنية «الفونديو» التّقليدي؛ وسار على خطى التريكي آخرون مثل محمد الجموسي والهادي الجويني وعلي الرّياحي وصالح الخميسي وغيرهم. كانوا فرسان حلبة الموسيقى الجديدة وأنجوا أغنيّة تتميّز موضوعاً وأسلوباً عن الأغنيّة التّقليديّة التّراثية كما يتّجه المعهد الرّشيدى للموسيقى الذي تأسّس في العام 1934. وقد أراد ذلك الجيل مواكبة التحوّلات الطارئة على الحياة الاجتماعيّة الثّابتة إلى الحدائق والمتأثّرة منذ عقود بالرّائج من الموسيقى المشرقيّة، وخاصّة المصريّة، مثل «الدور» و«الموآل» و«الطّفوقة»، وبعض الألحان والإيقاعات الآتية من أوروبا أو أمريكا اللاتينية.

### حفل 1939 بقصر الجمعيّات

ممّا يلفت الانتباه في مسيرة علي الرّياحي، رغبتّه في تأكيد ذاته خارج الأطر التّقليديّة للممارسة الموسيقيّة. لم تعد المناسبات العائلية والجلسات الفنيّة في المقاهي تُشجّع طموحه فأقدم على تنظيم حفل بإمكاناته الخاصّة يوم 17 ديسمبر 1936 بـ «قصر الجمعيّات الفرنسيّة» (دار الثقافة ابن رشيق حالياً) وعتّى فيه بمفرده بمصاحبة فرقة محمد التريكي التي ضمّت مشاهير الموسيقيين مثل الهادي الجويني وعلي السّريتي ويوسف سلامة وإبراهيم صالح. وقد أخبرني المرحوم علي السّريتي أنّ الحفل الأوّل لم يحقّق أمل الفنّان إذ كان إقبال الجمهور ضعيفاً؛ ويروى أنّ أحد المشاركين من الموسيقيين نصح علي الرّياحي أن يمتنّ عملًا آخر غير الغناء! ولكن ذلك لم يفت في عضده ولم يثنّه عن إعادة الكرّة بعد فترة قصيرة، بإقامة حفل ثانٍ في القاعة

# ATL Leasing, L'allié de votre succès



## ATL LEASING

ATL Leasing, vous offre la possibilité de louer les biens dont vous avez besoin pour votre activité pendant une période pouvant atteindre 84 mois. En fin de période vous en devenez propriétaire.



*Plus qu'un leasing...*



# RadioMed

*une vague de bonheur*

*Écoutez-nous sur :*

**NABEUL  
HAMMAMET**  
**100.0**  
FM

**CAP BON  
GRAND TUNIS**  
**104.1**  
FM



FM

 @RadioMedTunisie



MOBILE

 RadioMedTN



WEB

 Radio Med



PODCASTS

*Téléchargez notre application maintenant  
Sur Google Play !!*



GET IT ON

Google Play

 Cité El Wafa Nabeul Jadida 8000 Nabeul-Tunisie

 [www.radiomedtunisie.com](http://www.radiomedtunisie.com)

 (+216) 72 32 85 00  (+216) 72 32 85 60  [marketing@radiomedtunisie.com](mailto:marketing@radiomedtunisie.com)

# توظيف الدراما سياسيا: من المستفيد؟

بعد بثّ الحلقات الأولى من المسلسلين التلفزيونيين «قلب الذيب» لبسام الحمراوي و«الفرقة 27» ليسري بوعصيدة، اضطرت التلفزة التونسية إلى أن تضيف إلى مقدّمة كل واحد منهما عبارة تشير إلى أنه عمل درامي لا علاقة له بالواقع. تمّ التدارك بعد مواجهة ضغط شعبي كبير شهدته صفحات التواصل الاجتماعي في ردّة فعل انطباعية أولى مخيبة للأمال، لا سيّما أنّ العاملين قُدّما قبل العرض بطريقة مثيرة، فالأوّل تمّ تسويقه بوصفه مسلسلا يحمل رؤية مغايرة لتاريخ المقاومة المسلحة في تونس، وفجّر نزاعا قضائيا أول من نوعه بين التلفزة العمومية وإحدى قنوات القطاع الخاصّ حول أحقيّة كل طرف منهما في اقتنائه، أمّا الثاني فتّم الترويج له باعتباره أول مسلسل عن المؤسسة العسكرية.



• بقلم عامر بوعزة

الضغط على سلطة الاستعمار بعمليات مسلّحة في الجبال والتضاريس الوعرة. ويرتكز الجانب الدرامي في هذا العمل على مواقف كلاسيكية تتعلق بالشرف والخيانة والثأر والبطولة، وقد نبّه عدد من المؤرخين منذ الحلقات الأولى إلى وجود أخطاء تاريخية فادحة في السيناريو والإخراج. ومن السهل على المشاهد أن يلاحظ من تلقاء نفسه ومحض المقارنة مع أعمال أخرى بساطة المعالجة الدرامية في هذا العمل وسطحية الرؤية الفنية، فقد تصرّف كاتب السيناريو في تصوير النضال المشترك بين التونسيين والجزائريين دون معرفة دقيقة بالخلفية التاريخية وقُدّمه في شكل رومنسي مثالي، والحال أنه لا يمكن فصل علاقات التعاون بين الحركات الثورية في بلدان المغرب العربي عن سياقها التاريخي والإيديولوجي الحقيقي فهي في الأصل ثمرة عمل قام به زعماء الحركات الوطنية منذ الحرب العالمية الثانية وأفضى إلى إنشاء مكتب المغرب العربي عام 1947 ولجنة تحرير المغرب العربي عام 1948، ولئن كان القادة متفقين من حيث المبدأ على العمل المشترك في مواجهة مستعمر واحد، فإن المدى الذي يمكن أن يبلغه هذا التعاون كان جوهر الاختلاف، فشقّ يرى أنّ فكرة المغرب العربي تعني التضامن والتنسيق وشقّ يطمح إلى الوحدة العضوية، من ذلك أنّ وفدا جزائريا جاء في جانفي 1949 للباحث مع الحزب الحرّ الدستوري

وتدور أحداثه في زمن تمّ فيه تحرير القدس في حرب توصف على لسان إحدى الشخصيات بأنّها «انتهت بسرعة وتسبّبت في تدمير دولة إسرائيل الصهيونية بعد أقلّ من مئة عام من قيامها»، وعلّق المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي عمّا اعتبره «ردود فعل كارهة لليهود» قائلا: «إننا اليوم لسنا شعبا مغلوبا على أمره يستغيث بالآخرين، وإنّما دولة عاقدة العزم على النضال من أجل سلامة وأمن مواطنيها».

ثمّة إذن مؤيّدات قوية على أنّ التداخل بين السياسة والدراما أصبح أمرا واقعا في البلدان العربية وأنّ كثيرا من المضامين الفنية لا يمكن عزلها عن سياقها التاريخي وعن وظيفتها الثقافية، لما تمتاز به الدراما التلفزيونية من قوة تأثير على الصعيد النفسي. وتفرض هذه المؤيّدات نفسها في الأعمال الدرامية التي قدّمتها التلفزة الوطنية بشكل تفقد معه العبارة التي تشير إلى أنّ العمل خيالي ولا صلة له بالواقع أيّ معنى، وهي قرأتان موضوعية تتعلّق بالأحداث الدرامية والشخصيات والأفكار الأساسية التي تريد هذه الأعمال تجديدها في ذهن المتقبّل وغرسها في وجدانه.

النموذج الأوّل مسلسل «قلب الذيب» الذي تنطلق أحداثه العام 1948، وتتعلّق بدور المقاومة في

تزامن ذلك مع موجة من الانتقادات الموجهة عربيا إلى الأعمال الدرامية الرمضانية وما تنطوي عليه من توجيه سياسي، وانصبّ الاهتمام في هذا الخصوص على المسلسل الكويتي «أم هارون» الذي صُوّر في الإمارات وتدور أحداثه حول التمييز في معاملة اليهود داخل المجتمع الخليجي مع تنامي الحركة الصهيونية. فقد اتّهم هذا العمل بتشويه الحقائق التاريخية والتمهيد للتطبيع مع إسرائيل، كما يواجه المسلسل السعودي «المخرج 7» نفس التهمة لكن بحدّة أكبر، إذ اعتبر بعض النقاد أنّ الأمر في هذه الحالة أخطر من مجرد مسلسل وتطبيع، إذ يرون أنّ هذه الأعمال وسيلة سياسية للتأثير النفسي في الشعوب بهدف إخضاعها لتقبّل فكرة الاعتراف بإسرائيل.

وفعليا كان للدراما التلفزيونية هذا العام صدى في الأوساط السياسية، فوزارة الخارجية الإسرائيلية ندّدت في بيان لها بالمسلسل المصري «النهاية» الذي ينتمي إلى فئة الفانتازيا والخيال المستقبلي،



**FM**

**Jawhara**

*Diga*

**DIGA**

**DU LUNDI AU VENDREDI**

**DE 17H à 20H**

جوهرة



CREATED BY GTEAM 98289999



حول خطة إنشاء جبهة كفاح مغاربية موحدة لكن صالح ابن يوسف تردّد بشأن ذلك و شكك بنجاح مغامرة لم يضعها حزبه في الحسبان وردّ على محدثيه بالقول «إن أي توحيد للجهود يعرقل استقلال تونس وهي تختلف في وضعيتها عن الجزائر التي تعدّ مستعمرة فرنسية»

لكن «قلب الذيب» لم يكن معنا البتة باحترام التاريخ والمواضعات المألوفة في مثل هذه الأعمال الدرامية، وقدم قراءة لمرحلة محددة من تاريخ الكفاح الوطني تغلب عليها النزاع الذاتية لجيل من «المثقفين» يتكئ في مطالعته على تدوينات الفايستوك والثقافة الشعبية الطاغية، وهي لا تخرج عن إطار الفكرة المرجعية للتنظيمات الراديكالية التي تقدم نفسها متحدثة باسم الخط الثوري والتي لا تعترف بوثيقة الاستقلال، وترى أن الحدائث في مجتمع اليوم وليدة العقلية الاستعمارية (أيتام فرنسا)، وأن الاستعمار يواصل إلى اليوم نهب ثروات البلاد التونسية وخيراتنا وعلى رأسها الملح والبترو! هذه القراءة تسعى دائما إلى تخوين القيادة السياسية للحركة الوطنية وتعكير صورتها الرمزية وقد رأينا في المسلسل ولأول مرة في التلفزيون الرسمي المناضلين الدستوريين في الخمارات والكابريهات وبشخصيات ضعيفة خانعة ومهزوزة وبلا فاعلية تذكر! كما إن المسلسل لم يذكر الزعيم التاريخي للحركة الوطنية وغيبه تماما وبدا المؤلف متلهفا للوصول إلى فكرة الولادة الرمزية الناتجة عن اغتصاب معمر فرنسي لفتاة تونسية ليكرس فكرة تجذر الاستعمار في المجتمع التونسي.

في مسلسل «الفرقة 27» توجد مفارقة مثيرة للاستغراب والسخرية، فبعد لحظات من عرض الشارة التي تنفي أي علاقة للعمل بالواقع، تظهر الفقرة الدعائية للمؤسسة البنكية الراحية للمسلسل والتي تصفه بأنه «أول مسلسل عن المؤسسة العسكرية في تونس»، ولئن كانت الغاية المعلنة هي الاحتفاء بدور الجيش التونسي في محاربة الإرهاب وتضحياته الجسيمة فإن المسلسل يقدم الظاهرة الإرهابية بشكل غمطي معروف في الدراما التونسية، حيث

لا صلة للإرهابيين بالإسلام السياسي إنما هم دائما صنعة شبكات أجنبية لها امتدادات في الداخل تمثلها عائلات بورجوازية متنفذة وتشرّف بحكم موقعها وقربها من السلطة ومراكز القوى والنفوذ على تسيير الاقتصاد الموازي عبر إدارة شبكات التهريب. وإذا استثنينا مسلسل «يوميات امرأة» الذي أنتج العام 2013 والذي صورّ عملية غسيل دماغ خضع لها شاب يعاني من مشاكل نفسية واجتماعية بعد انتدابه من قبل التيار السلفي في أحد مساجد جربة، فإن جل الأعمال الدرامية تتحاشى الخوض في علاقة الإرهاب بالتيارات الإسلامية وإن فعلت فإنها تجعل من الإرهابي شخصا مزيفا مارقا ينتحل صفة المتطرف الديني ولا يمثلها حقيقة (ناعورة الهواء، الجزء الثاني 2015). بعض الأعمال الأخرى تملّصت بذلك شديد وبحبكة فنية راقية من غمطية العلاقة بين الإرهاب والتهريب (الدوامة 2017) أما مسلسل «الفرقة 27» فقد جعل من فيليب رجل المخابرات الأجنبية البطل الخارق الذي يتحكم في كل شيء وجعل من العناصر الإرهابية مجرد كومبارس في يد عصابة غايتها تهريب أجهزة التلفزيون والمكثفات لبيعها في سوق المنصف باي! ويقف وراءها رجل أعمال سلطته لا تقاوم وبإمكانه أن يشتري بثروته كل شيء.

ولئن كان المستوى الفني الهزيل الذي قدّمت به هذه الأطروحة ينزع عن المسلسل أي إمكانية للتأثير النفسي وأي خطورة على الوجدان الجمعي فإنه من المهم أيضا الانتباه هنا إلى أنّ صاحب هذا العمل لم يفعل شيئا غير استدعاء المقولات الرائجة في الوسط السياسي الواقعي وإخراجها في مظهر درامي. فكثير من محترفي السياسة والقيادات المرموقة يؤمنون بأن الإرهاب صنعة المخابرات الأجنبية وأن شبكات التهريب والاقتصاد الموازي هي التي تقف وراء التفجيرات والعمليات الانتحارية، وهم ينزعون عن الإرهاب في تونس كل صلة بالإسلام السياسي والتطرف الديني وها هي التلفزة تقدم هذه الرؤية الشعبية التي يتبناها (ويا للمصادفة!) المتحدثون باسم الخط الثوري ذاتهم. فالذين لا يؤمنون بالدولة الوطنية المستقلة هم ذاتهم الذين يفسرون الإرهاب دائما بأنه من صنع المخابرات الأجنبية. وهذه النظرية باقية وتتمدد. لا يمكن الاستهانة بدور الدراما في تغيير الحقائق فعلاوة على كونها أداة فعالة للتأثير النفسي تعمل المسلسلات على صنع النماذج وترسيخ

القيم في الاتجاهين السلبي والإيجابي، ومثلما يجتهد المبدعون التونسيون في تجريد الظاهرة الإرهابية من أي علاقة بالإسلام السياسي عندما يتناولونها تلفزيونيا (الأمر مختلف في السينما) فإن الدراما المصرية تذهب في الاتجاه المعاكس تماما، حيث تمعن عبر ميزانيات ضخمة وأعمال متتالية في تعرية الجانب الدموي لتنظيم الإخوان المسلمين على مرّ التاريخ، وفي أحدث الأعمال المميّزة هذا العام يصور مسلسل «الاختيار» قصة حياة أحمد منسي شهيد المؤسسة العسكرية والإرهابي المنشق عنها «هشام عشناوي». والمسلسل وإن كان يعكس بوضوح وجهة النظر الرسمية ويمجد المؤسسة العسكرية فإنه قد صيغ بإقتان لا يضاها، ولئن كانت التلفزة التونسية واقعة تحت تأثير إكراهات سياسية تحدّ من اختياراتها وتفرض عليها عرض مضامين خلافية مستفزة فإن ما تؤاخذ عليه حقا هو التفريط في موقعها المرجعي، فهي المؤسسة الوحيدة القادرة اليوم على تمويل أعمال تاريخية حقيقية ينتدب لها كبار المحرّفين من كتاب السيناريو والمحققين، كما يمكنها تذييل الهوة الفاصلة بين عالم الرواية وعالم الدراما باقتناء حقوق بعض الأعمال الأدبية وتحويلها إلى أعمال تلفزيونية، وفي هذا السياق لا يدري أحد لماذا تعطلت فكرة المسلسل المأخوذ من رواية البشير خريف «الدقة في عراجينها» وقد شرع فعليا في تنفيذه منذ سنوات بعيدة.

لكنّ أخطر ما يمكن أن يؤاخذ عليه التلفزيون هو تساهله في التعامل مع الصناعة الدرامية، فبينما ينتظر منه أن يصوغ كراس شروط يحمي الاختصاصات الفنية الدقيقة ككتابة السيناريو والمراجعة الدرامية والتدقيق اللغوي والتحقيق التاريخي... الخ، نجدّه يتعامل بسهولة مع فكرة «الوان مان شو»، ويقتني بأموال المجموعة الوطنية أعمالا يقوم فيها المخرج بدور السيناريست والمؤرخ ومصمّم الديكور ويتقمص أحد الأدوار أيضا، ويتعارض هذا بوضوح مع مقتضيات الجودة وضرورة احترام المشاهدين والحفاظ على الرصيد الوطني من الأعمال الدرامية الناجحة وتنميتها، فالمستوى الهزيل الذي بدأ عليه مسلسل «الفرقة 27» على عدّة مستويات يطرح أكثر من استفهام حول الآلية المعتمدة حاليا في اختيار الأعمال الدرامية وتمويلها وما إذا كانت مطابقة لقواعد الحوكمة الرشيدة والشفافية ومحيّدة فعلا عن أي مؤثرات جانبية. ع.ب.ع





## الأميرة نازلي فاضل ومجالسها الأدبية رؤس تفتحت فيه براعم التحديث

من التقاليد التي رافقت حركات التحديث والتنوير في أوروبا وفي البلاد العربية على حدّ السواء وكان لها أثر بعيد في حياة النهضة في الغرب والشرق الصالونات أو المجلس الأدبية والفكرية. ولعل أقدمها صالون السيدة كاترين دي فيفون Catherine de Vivonne (1655-1588) الذي كان يلتئم بقصر «رامبويي» وقد شيّدته بنهج «سانت توماس دي لوفر» بباريس واستقبلت فيه أعلام الفكر والأدب بفرنسا في القرن 17 من أمثال «شابلان» و«كوتان» و«سانت أمون» و«سارازان» و«دي سابلاي» وغيرهم. ثم ظهر صالون لا يقل شهرة وإشعاعاً هو صالون «مدام دي ستال» Mme de Staël (1817-1766) في قصر «كوباي» Coppet على ضفاف بحيرة جنيف، وهي المرأة التي ستكون أفكارها ومؤلفاتها منطلق انتشار المذهب الرومنطقي في الآداب الأوروبية. ثم كان للسيدة «جان فرنسواز ريكامياي» J.F. RÉCAMIER (1849-1777) مجلس أدبي في قصر «لاباي أو بوا» كان من رواده «شاتوبريان» و«بنجامان كونستان» و«أمبار» وغيرهم من ألباء فرنسا في القرن 19.



• بقلم د. الحبيب الدريدي

والإيطالية اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية. وحرصت على تمثين ثقافتها بالتدرد على أوروبا ولقاء أعلام الفكر والأدب هناك والاختلاط بالأوساط الثقافية والسياسية ولا سيما في فرنسا وإيطاليا.

وأتاح لها هذا التكوين المتنوع والمتين أن تضطلع ، على حادثة سنّها، بأدوار هامة في الحياة السياسية العثمانية زمن حكم السلطان عبد الحميد الذي امتد من 1876 إلى 1908، فقد سعت إلى الوساطة بينه وبين حركة الوطنيين الأحرار. ولمّا توفي والدها عادت لتستقر بمصر دون أن تنقطع عن زيارة تركيا والبلاد الأوروبية إذ كانت قد تزوجت سفير تركيا بإيطاليا، وكان أخوها الأمير حيدر مقيما في باريس ومعدودا من كبار أدباء اللغة الفرنسية.

### صالون القاهرة: نفحة من روح النهضة الأوروبية

التأم مجلسها الأدبي بالقاهرة في قصر والدها، وكان يوم هذا المجلس كبار أعلام الفكر والأدب والثقافة في مصر والشام عصرئذ

### الأميرة المثقفة والمتحررة

تنحدر هذه الأميرة من أسرة محمد علي باشا (1769 - 1849) مؤسس السلالة الخديوية والملوكية في مصر ورائد التمدن العصري في بلاد المشرق كلها. ذلك أنّ والدها الصدر الأعظم مصطفى فاضل باشا هو حفيد محمد علي وابن والي مصر الشهير إبراهيم باشا (1789 - 1848) وأخو الخديوي إسماعيل (1830-1895) الذي حكم مصر بين 1863 و1879. وقد كان والدها ولياً للعهد في المملكة المصرية لكن نظام الوراثة المستحدث في عهد إسماعيل بمقتضى فرمان عثمانى أبعدته عن ولاية العهد، فغادر مصر غاضبا واستقر بإسطنبول فسماه السلطان العثماني عبد العزيز (1830 - 1876) صدرا أعظم ترضية له.

نشأت نازلي فاضل في إسطنبول وسارت سيرة السيدات التركيات في التعلق بمظاهر التمدن من علم وحرية وتهذيب ذوق، فقد تلقت تعليما حديثا على النمط الأوروبي وارتادت معاهد التعليم الأجنبية في إسطنبول وأنقنت مع العربية والتركية

في البلاد العربية فقد نال صالون الأدبية اللبنانية المصرية مَي زيادة (1886 - 1941) شهرة واسعة، إذ كانت تستقبل فيه المفكرين وأعلام الثقافة من كل أرجاء الوطن العربي مثل طه حسين وإسماعيل صبري ومصطفى عبد الرزاق ومصطفى الرافعي وعباس العقاد وخليل مطران ويعقوب صروف وشبلي شميل...

ولكن المرأة التي سبقت إلى إنشاء الصالونات الأدبية في البلاد العربية فهي دون شك الأميرة نازلي فاضل (1853 - 1914)، بل لعلها تمتاز عن كل مثيلاتها بأنها أنشأت صالونين اثنين في بلدين مختلفين، فقد كان لها صالون أول بالقاهرة نشط في ثمانينات القرن التاسع عشر وصالون ثان بتونس نشط في تسعينات القرن 19 وبداية القرن 20.

وحرري بنا قبل الخوض في ذكر هذين المجلسين الأدبيين وما كان لهما من بالغ الأثر في ترقية الحياة الفكرية والأدبية بمصر وتونس أن نبادر إلى التعريف بالأميرة نازلي فاضل صاحبة المجلسين.





هذا الصّالون لدى زيارته الثانية إلى تونس في شهر سبتمبر 1903، وبعض الشخصيات المرموقة من حركة تركيا الفتاة الفارين من عسف السلطان عبد الحميد. وسيكون للقائهم بعدد من الشبان التونسيين في هذا المجلس الأثر البعيد في تأسيس حركة الشباب التونسي وبعث جريدة «التونسي» أول صحيفة ناطقة بالفرنسية يصدرها الأهالي بتونس.

ومما تولّد عن هذا الصّالون كذلك نشأة أول مدرسة للبنات المسلمات بتونس، فبعد أن اختلفت الآراء صلب النخب المحليّة بشأن هذه المسألة وطغى الحذر على زعماء النهضة التونسية اصطحبت الأميرة نازلي فاضل البشير صفر إلى القاهرة لإطلاعه على تجربة التعليم الخاصّ للبنات المسلمات فعاد من هناك مقتنعا بوجود الأخذ بهذه التجربة، فتأسست بالفعل المدرسة الأولى للبنات المسلمات.

ولعلّه قد تبين أنّ السنوات التي أمضتها الأميرة نازلي فاضل بتونس ولا سيما نشاطها صلب مجلسها الأدبيّ قد كان لهما الوقع الكبير في تنشيط الحركة الثقافيّة والأدبيّة والفكريّة وفي دفع النفس الإصلاحية، فكان حضورها بتونس ومجلسها كانا بمثابة حلقة الوصل بين بواكير حركة الإصلاح التي قادها خير الدين وبيرم الخامس وابن أبي الصّيف وامتدادات هذه الحركة التي سيواصلها علي باش حامبة وزعماء «الشباب التونسي» في مفتتح القرن العشرين. ■

ح. ٥٠

والزهد في مغريات الحياة الغربيّة فكان ذلك ممّا عزّز الرّوابط بينها وبين الحياة التونسيّة ورغبتها في زيارة تونس. وثالثها سياسيّ إصلاحية، فقد تعرّفت في مصر إلى الشيخ محمّد بيرم وأبنائه بعد استقرارهم بالقاهرة واجتمعت في باريس بعدد من أعلام الحركة الإصلاحيّة بتونس مثل الجنرال حسين.

وعلى هذا النحو حلّت الأميرة نازلي فاضل بتونس سنة 1896 واتّصلت أول مقدمها بالشيخ سالم بوحاجب وابنيه عمر وخليل، واختارت أسرته أسرة جديدة لها، فقد تزوّجها خليل بوحاجب سنة 1897. وجدّدت بعد زواجها به عهدا بالصّالونات الأدبيّة، إذ اتّخذت من قصرهما بضاحية المرسي ناديا ثقافيا إصلاحيا يجتمع في رحابه أعلام الثقافة والفكر والأدب والصحافة.

وقام هذا المجلس على ركنين أساسيين هما الجمعيّة الخلدونيّة وجريدة الحاضرة. فقد اقترن قدوم الأميرة نازلي فاضل إلى تونس بتأسيس الجمعيّة الخلدونيّة فتحمّست لها وتبرّعت لفائدتها من مالها بسخاء، وعيّنت رئيسة شريفة لها، ومن ثمّ كان رجال الخلدونيّة من أمثال البشير صفر ومحمّد الأصرم ومحمّد بالخوجة ومحمّد القروي من رواد مجلسها الأدبيّ الذي عزّز عمل الجمعيّة ونشاطها بما كان ينهض به من تحريك للهمم والقرائح إلى طرائق جديدة في الانتاج الأدبيّ والفكريّ.

كما تحمّست الأميرة نازلي فاضل لصحيفة الحاضرة، وهي أول صحيفة عربيّة غير رسميّة بتونس، وسبب هذا الميل هو النهج الذي سارت عليه هذه الصحيفة في الدّعوة إلى الأخذ بوسائل التمدّن الأوروبيّ ومناصرة فكر التحديث والتنوير فضلا عن مسلكتها السياسيّة المعتدل. وبذلك ضمّ المجلس الأدبيّ لهذه الأميرة أبرز محرّري الحاضرة وفي مقدّمهم صاحبها علي بوشوشة وصديقه ومساعدته عبد الجليل الرّاوش. وكان هذا المجلس يضمّ فضلا عن أشهر ممثلي النخبة التونسيّة المثقفة أعيان الجالية الأوروبيّة وصفوة الصّيواف المشاركة من أتراك ومصريين أو المغاربة، من ذلك حضور الشيخ محمّد عبده مفتي الدّيار المصريّة جلسات

من أمثال الشيخ محمّد عبده والصحفي إبراهيم المويلحي والأديب محمّد المويلحي وسعد زغلول وقاسم أمين ورائدة الحركة النسويّة في مصر هدى شعراوي والأديب السوري عبد الرّحمان الكواكبي وغيرهم كثير. وكان هذا الصّالون عاملا من عوامل نشر فكر الحداثة والتنوير وإشاعة روح عصر النهضة الأوروبيّة في المشرق العربيّ، فتأثير منه أنشئت جمعيّات ومطابع ونُشرت مقالات وفصول وأصدرت كتب ومؤلفات. بل إنّ هذا الصّالون أثر تأثيرا بالغا في التّطور الفكريّ لروّاده، فقاسم أمين الذي كان قد أصدر كتابا بعنوان «المصريّون» يدافع فيه عن ضرورة ارتداء الحجاب وعدم خروج المرأة للعمل ومنع الاختلاط يتبدّل تبديلا جذريا فيصدر كتابه «تحرير المرأة» الذي طبع على نفقة الأميرة نازلي فاضل وتميّز بدعوة صاحبه إلى فك قيود المرأة وتعليمها وتمكينها من حقوقها، ثمّ أردفه بكتابه الثاني «المرأة الجديدة» الذي عدّ أبرز معالم الإصلاح الاجتماعيّ في مصر. أمّا الشيخ محمّد عبده فكان الصّالون سبيلا إلى اهتمامه بدراسة اللّغة الفرنسيّة وآدابها دراسة معمّقة بتشجيع ورعاية من الأميرة نازلي فاضل. وتأثير من هذا الصّالون كذلك تخلى سعد زغلول - وهو تلميذ الشيخ محمّد عبده - عن لباسه الأزهريّ وارتدى الزيّ المصريّ، وتوثقت صلته بنازلي فاضل فعينته محاميا لها ودفعته إلى دراسة اللّغة الفرنسيّة ورشحته للزّواج من «صفيّة هانم» ابنة مصطفى باشا فهمي رئيس الوزراء آنذاك.

## الصّالون التونسيّ: بذرة الحركة الإصلاحيّة الجديدة

أتيحت للأميرة نازلي فاضل فرص التعرّف إلى النخب التونسيّة من سبل عديدة، أولها عائليّ فقد كانت شقيقتها الأميرة رقيّة قد تزوّجت أحد الأثرياء التونسيين وهو الطاهر بن عياد، وثانيها ثقافيّ إذ التقت بباريس في مقرّ مجلّة «العروة الوثقى» التي كان يديرها جمال الدّين الأفغاني مجموعة من الشبان التونسيين ولاحظت ما يمتازون به من راحة التّفكير واستقامة السلوك والميل إلى الجدّ

تنتعس  
FM



# LA MATINALE

06:00 - 10:00

DU LUNDI AU VENDREDI

Durant 4 heures **Hamza Belloumi** entouré de **Mokhtar Khalfaoui**, **Mohamed Boughalleb**, **Houcem Hamad**, **Malek Jlassi**, **Zina Zidi**, **Hassan Zargouni** et **Amine Bouneoues** décryptent l'actualité : politique, économique, sociale, culturelle et insolite... Rien n'échappe à la vigilance de nos matinaliers !  
**Le tout dans la bonne humeur !**

# سؤال أخير



## بطاقة

• بقلم الصحي الوهابي

تضيق الطَّرِيق إلى الرَّحْم، أو تُسَدُّ، وتحول دون البويضة وغايتها... وعادةً ما يُكتشف الحمل خارج الرَّحْم بين الأسبوعين، الرَّابِع والعاشر من بدايته؛ وها الحكومة في أسبوعها الثَّاني عشر وهي لا تدري أن قناتيَّ فالوب قد دُمَّرتا بالكامل، ولا أمل لها في أن تحمل ثانية، ولو نفخ في أحشائها نافخ.

\*\*\*

مات الرَّجُل فغسلوه وكفَّنوه ودفنوه، فإذا ملك الموت يأتيه في قبره ويوشوش في أذنه بعد أن نزع القطن منها «والله أنا أسف شديد الأسف، لا أدري كيف قبضت روحك أنت، لم تكن أنت المقصود، كنت أقصد جارك في الغرفة ولكنكما تبادلتما الأُسرة، أنا أسف حقًا، سأنفخ فيك الرَّوْح من جديد لتحيًا». قال الميِّت الحيَّ وقد طار قلبه فرحًا: «إذن فك عتني هذا الكفن وخلصني!»، قال ملك الموت: «أسف، مهمتي تنتهي عند هذا الحدِّ، تصرَّف يا أخي، افعَل كما تفعل معكم حكومتكم في مثل هذه الحال»، فصرخ الرَّجُل: «وكيف تفعل حكومتنا؟»، ولكن ملك الموت اختفى.

\*\*\*

جلس الكاهن في خلوته، بنصت إلى العجوز الذي جاء يكفِّر عن ذنبه ويطلب المغفرة: «يا أبتني؛ لا أدري إن كنتُ جديرًا بالمغفرة والرَّحمة، وإن كانت توبتي مقبولة»، والكاهن يهون: «كُلِّ الذُّنوب تمحوها التوبة؛ استمرَّ يا ولدي»، والعجوز: «طيلة الحرب العالميَّة الثَّانية، وعلى امتداد سنوات، أخفيتُ في دهليز داري يهوديًا ثريًا؛ والكاهن يقاطع: «هذا عمل جيِّد؛ هذا عمل نبيل، لا يأتيه إلاَّ رجل نبيل؛ فلماذا تطلب التوبة يا ولدي؟»، والعجوز يواصل: «لقد كنتُ أسوِّغ له الدهليز بمقابل باهظ»، والكاهن يهيمهم: «أهاه! لقد كنتُ تبتزُّه إذا؛ وكنت تستغلُّ الظَّرْف؛ هذا ليس عملًا جيِّدًا؛ ولكن المهمُّ أنك أنقذت حياتَه؛ أعتقد أن الرَّبَّ يقبل توبتك»، والعجوز يفرك يديه: «آه يا سيِّدي الكاهن! آه يا أبتني! لقد أرحمت عن صدري عبثًا ثقيلًا!... سؤال أخير؛ سؤال صغير، يا سيِّدي؛ هل أستطيع أن أقول له إن الحرب قد انتهت؟»... سؤال أخير؛ سؤال صغير للحكومة: هل انتهت الأزمة؟! ■

ص.و.

## يقال

حرن الحمار أي امتنع عن السَّير، فتهمزُه وتنخسه ثم تكسر العصا على ظهره، وهو على موقفه، ثابت، لا يتزحزح، وليس في الجِران ما يضير إذا كان الحَرُون فردًا واحدًا، ليس أكثر، ولكنَّ المعضلة التي لا شفاء منها، إذا مسَّت العدوى الجماعة، كأن تحرن حكومة بطمِّ طميمها، فلا هي تقدَّمت ولا هي نكصت على أعقابها، وأما إذا حرن شعب بشيبه وشيانه، فتلك هي الطَّامة الكبرى، ولا أحبُّ أن أكون متشائمًا أكثر من اللُّزوم، فلكلِّ داء دواء كما يقولون، وآخر الدَّواء الكي، والكاويات تحرق الأنسجة حتَّى تُفقدَها ماءها وتفكِّك خلاياها العضويَّة، لتعوضها خلايا أخرى سليمة، لا تشوبها شائبة؛ وهناك الكي بالنَّار الحامية والكي بالنَّار الباردة، وهذه من اختصاص بعض الحكومات، لا تعرف علاجًا إلاَّ بالكي البارد، وهو علاج بخس، لا دخل فيه للأدوية الأصليَّة أو الجنيسة، صالح لكلِّ الأمراض، لا تنسحب عليه شروط الكنام (صندوق الثَّامين على المريض)، ولا أحبُّ أن يُستشفَّ من كلامي هذا أيُّ على عداوة مع الأدوية الجنيسة، فهي على عهدة وزارة الصِّحة، مثلها مثل الأدوية الأصليَّة، ولكنها أقلُّ كلفة وأبخس ثمنًا، ولو أن كثيرًا من الألسن الخبيثة والبريئة تردَّد أن الدَّواء الجنيس مثله مثل الماء، وأخرى تقول إن مخاير الأدوية وشركات التَّصنيع تريد أن تجعل من المرضى في البلدان الفقيرة فئران تجارب أو ضرا تحلبه. والحقيقة أن بلادًا كثيرة اختصَّت دون غيرها من البلدان بكلِّ ما هو جنيس، فتعليمها جنيس، وديمقراطيتها جنيسة، وفنَّها جنيس، وانتخاباتها جنيسة، ومؤسساتها جنيسة. دعونا نخرج من هذا الموضوع لندخل موضوعًا غيره... وخرج ودخل فعَلان متناقضان، متنافران، ولكن لا معنى لهذا دون ذلك؛ وقبل أن نشرد أو نضيع بين الدَّاخِلين والخارجين، وجب أن نضع تعريفًا صحيحًا دقيقًا للمعنيين الاثنين، فما تحسبه أنت خارجًا، يحسبه غيرك داخلًا؛ وما تحسبه داخلًا، يحسبه خارجًا... وهناك الحمل داخل الرَّحْم، والحمل خارجَه؛ والحمل داخل الرَّحْم محمود، مضمون، بإذن الله؛ وأما الحمل خارجَه، فلا يُرجي منه خير، ومثله مثل كثير من أهل السَّياسة بويضات كسيحة، كسولة، تزرع نفسها في عنق الرَّحْم، أو في المبيض، أو على جدار إحدى قناتيَّ فالوب، ولا تواصل طريقها إلى الرَّحْم، حيث مكانها الطَّبيعيُّ للنَّمو... وأما الأسباب، فكثيرة، بدايةً بالبويضات الكسولة، مرورًا بالتلف الذي قد يصيب قناة فالوب نتيجةً الالتهابات المختلفة بالبكتيريا، حيث